أمجد صابر

عندما تبيض الديوك



قصص قصيرة



عندما تبيض الديوك

مجموعة قصصية

أمجد صابر

صورة الغلاف / بيكاسو

الطبعة العربية الأولى : أكتوبر ١٩٩٩

رقم الإيداع : ٩٩/١١٣٢٠

الترقيم الدولى : I.S.B.N. 977-291-167-1



السلسلة الأدبية

رئيس المركز

على عبد الحميد

مدير المركز

محمود عبد الحميد

المشرف العام

على السلسلة الأدبية

خيرى عبد الجواد

الجمع والصف الإلكترونى

مركز الحضارة العربية

تنفيذ : هويدا محمود

٤ ش العلمين عمارات الأوقاف
ميدان الكيت كات
تليفاكس : ٣٤٤٨٣٦٨

أمجد صابر

عندما تبيض الديوك

قصص قصيرة

إهداء

إلى أمى .

أول من سطرت أمام عينى أحرف الحياة

أول من وضعت بين يدى كتاباً ..

وشجعتنى بابتسامة واثقة ..

إلى ..

آمالى التى ذهبت ..

قيثارتى التى بعدت عنى

ما زلت أعزف لحن حبك ..

أمجد

عناد أمواج البحر

مقدمة

محمد جبريل

إذا كانت تسـمية أدباء الأقـاليـم قد فرضت نفـسها من خلال مـبادرات أعتـز بهـا شـخصـياً وأصـدقـائي محمـد صدقي والراحل مـحسن الخـياط وعـبد العـال الحمـامصى ، مـقـابلاً لغلبة المركـزية على واقـعنا الثقـافى .. فـالقــاهرة تضم مـؤسـســات النشـر ، ووسـائـل الإعـلام ، والمؤتمرات ، والمهـرجانات ، والنـدوات اليومـيـة ، بينما الأقـاليـم - الأدباء الذين لزمـوا مـواطنهم فى الأقـاليم تحديداً - يعـانون الابتـعـاد عن مصـادر الثـقافـة فى العاصمة ، ويحيون غربة حقيقية عن مجالات التأثر والتأثير ..

إذا كانت تسمـية أدباء الأقاليم قد فرضت نفـسها مقابلاً لمركـزية الحياة الثقافية فى القاهرة ، فإن بانورامية الصورة قد تغيرت فى الفترة الأخيرة..

ثمـة أسمـاء هى الآن رمـوز مهـمـة لثقـافـتنا المصـرية المعاصـرة . ترك الكثيرون مدنهم وقراهم إلى القاهرة ، بحثاً عن الفـرص المقيمة فيها ، بينما أصر هؤلاء أن يظلوا فى مواطنهم ، دون أن يفقدوا تأثرهم بمصادر الثقافة ، وتأثيرهم فى المتلقين لإبداعاتهم على المستوى القومى باعـتبارهم بعداً مهماً فى حركة الإبداع المصرى :

محـمد الراوى ، فؤاد حجـازى ، بهاء السيد ، فنجـرى التايه ، درويش الأسيـوطى ، صلاح اللقـانى ، جمال الـتلاوى ، مجـدى عبد النـبى ، فريد معوض ، محمد نجيب التـلاوى ، حسين على محمد ، على المنجى ، صابر عبـد الدايم ، عبد الحافظ ناصف ، صـلاح والى ، سيد إمام ، أحـمد زلط ، مهدى بندق ، سعيد بكر ، عزت الطـيرى ، سعيد سالم ، إبراهيم رضوان ، محمـد المطارقى ، محمود حنفى ، مـحمد عبـد المعطى ، جار النبى الحلو ،

مصـطفى نصر ، إسـماعـيل بكر ، صبـرى أبو علم ، د . حلمى القـاعود ، أحمد فـضل شبلول ، جميل عـبد الرحمن ، أيمن حسن على ، عـبد العليم القبانى ، مـحمد عبد المطلب ، نبـيل خالد ، فاروق حسان ، محـمد صالح الخولانى ، أحمد مـحمود مبارك ، مصطفى بيومى ، وفاء وجـدى ، محمد محـمود عتمـان ، د . حورية البدرى ، مصـطفى العايدى ، عماد عـيسى ، محـمد عـبد الله الهـادى ، يوسف عز الدين عـيسى ، عـبد السـتـار سليم ، محـسن يونس ، على المنجى ، سمـير الفـيل ، طارق إمام ، محـمد العـتر ، عويس معـوض، أحمد جامع ، مصطفى الأسـمر ، السيد الخمـيسى ، منير عتيبة ، قـاسم عليوة ، إيهاب الوردانى ، عبد الفتاح البيه ، مـحمد عبد الله عيسى ، محمد عايش عبيد ، حـاتم عبد الهادى ، حسن غريب ، إسماعيل عقاب ، البهاء حسين ، سيد معوض ، وعشرات غيرهم ..

وأعتذر لطول القائمة ، وإن أغفلت الكثير لأنى لا أقصد الإحصاء..

***

أمجـد صابر ، صـاحب هذه المجموعـة ، فضل الإقـامة فى موطنـه منيا القمح ، وهو يشكل - مع أدباء مدينته - تجمعـاً إبداعياً ، نتابع إسهاماته فى الصحـف والدوريات المختلفـة . وهذه المجموعـة التى بين يديك سبـق لها النشر فعـلاً قبل أن تضمها دفتا كـتاب ، فالقارئ إذن قد تعرف إلـى كاتبها من قبل ..

ولأن هذه الكلمات لا تسـتهدف النـقد (أذكرك بقـول ريلكه "لا يوجد شىء أردأ من كلمات النقد ، فإنها لا تقود إلا لسوء تفاهم ناجح بدرجة أو بأخـرى") ، ولا حتى التـقديم ، وإنما هى مـجرد تعـبيـر عن محـبة مـؤكدة لأديب واعد ، يحـاول أن تكون له ملامـحه الإبداعيـة ، فإنى أكـتفى - فى

محدودية المساحة - أن أشير إلى مجموعة من الخصائص التى أرجو لو أن أمجد صابر عنى بتأملها ، سعياً إلى اكتساب المزيد من الملامح والقسمات ، بحيث نتعرف - فى محاولاته التالية - إلى مبدع له خصوصيته الواضحة والمؤكدة ..

- المبدع الحقيقى هو الذى لا يفصل بين الفكر والعمل ،بين الوجود والفعل ، بين الفن والتجربة . تعكس إبداعاته حياته ، قراءاته وخبراته وخبرات الآخرين . التواصل الإنسانى بين أمجد صابر وبينى يدفعنى إلى التأكيد على تحقق الثنائيات المتقابلة فى إبداعاته ، فليس ثمة أقنعة فنية ، إنما هو وجه واحد ، واضح القسمات ، لفنان مهموم بقضايا مجتمعه ، وبقضايا الإنسانية جميعاً . وكما يقول جورج إليوت ، فإن أعظم فائدة ندين بها للفنان ، سواء كان رساماً أم شاعراً أم روائياً أم كاتب قصة قصيرة ، هى تأثيره على اتساع دائرة مشاعرنا وتعاطفنا .

إن الفن هو أقرب شىء للحياة ، وهو وسيلة لتوسيع حلقة تجاربنا ، ولمد صلاتنا ببنى البشر خارج حياتنا الشخصية ..

- ومع أنى أجد فى الإبداع الحقيقى ما يشى بفلسفة حياة ، وبنظرة شاملة إلى تأملات المبدع ، ونظرته إلى الدين والعلم والفن والسياسة والمجتمع إلخ .. فإنى أضيق بسيطرة الفكرة على العمل الإبداعى ، أن ينطلق من فكرة فلا يجاوز إطارها . ذلك عمل كاتب السيناريو الذى تغلب عليه الصنعة . الفكرة تتحدد فى رأسه ، تكتسب ملامحها الواضحة ، فلا يدعها تخرج إلا على النحو الذى تصوره لها ، يعى البداية والنهاية والتكنيك والألوان والظلال والدلالات . أما القصة ، فإنى أفضل أن تكتب نفسها ، يتيح لها الفنان أن تغنى بصوتها . كلما كان العمل الإبداعى

صوت نفسه ، انبثاقاً من داخله ، وليس وليـداً قسرياً بيدكاتبه ، وكان أقرب إلى العفوية ، والوصول - بالعفوية نفسها - إلى وجدان المتلقى ..

أظلم أمجـد صابر لو قلت إن هذه الملاحظة تشـمل قصص المجمـوعة، لكنها تـطالعنا فى العديد من المواقف ، تبين عن إصـرار الفنان على أن تأتى وليدة فكرة وليـست وليدة نفسهـا ، واللحظة التى تخلقت فيهـا . أفضل - أكرر - أن تبين القـصة عن ملامحـها فى أثناء عملية الكتـابة . أما الشكل ، فهو يصدر عن التجربة ، لا يتخذ الفنان - مسبقاً - شكلاً جاهزاً ، إنما يتخذ العمل الفنى كلـه من داخل التجربة نفـسها . الصلة بين الشكل والمضـمون فى أى عمل فـنى عظيم - والقول لكيـتو - سواء كـان مسـرحيـة أم لوحة تصوير أم قطعـة موسيـقية، صلة حـيوية جداً ، حـتى ليمكن القول بأنهـما متوحدان توحداً كلياً . يخطئ البعض حين يتصـور أن وظيفة التقنية جمالية أو زخرفيـة ، وأنها تدليل على موهبة الفنان ، وإجـادته ترتيب الأحداث بما يحدث فى نفسية المتلقى أكبر قدر من الانبهار أو الدهشة أو التوتر .

التـقنيـة تختلف عـن ذلك تماماً ، بل إنهـا فى النقـيض من ذلك تمامـاً . العمل الفنى يفرض تقنيته ، يحددها ، بحيث يمكن القول إنها تكمل المادة ، مثلمـا إن المادة تكمل التقنيـة . وبمعنى آخر ، فإن المـضمون والشكل وجـها عملة واحدة ..

وملاحظتى على بعض قصص هذه المجموعة أنها أسلمت نفسها لقبضة الفكرة ، فهى تتجه فحسب إلى ذهن القارئ بما قد يسهل تضمينه مقالاً ، أو دراسة ، فى تقريرية موضوعية ، جهيرة ومباشرة ..

- التعـريف الأسهل للقـصة القـصيرة هو أنهـا قصـيرة . ولكن القـصة القصيرة - فى أهم تعريفـاتها - هى التى تتركـز فيهـا حياة بأكـملها ، وإن

أخذت فى زمن السرد بضع دقائق . ليس معنى القصة القصيرة أنها «قصيرة الزمن» ، أى أنها تمتد فى مساحة محدودة ومحددة ، فقد تستغرق لحظة ، أو بضعة أعوام ، أو حياة إلى نهايتها . وهذا ما تبين عنه قصص أمجد صابر . إنها لا تتمطى فى ترهلات أو نتوءات ..

أتصور أن أمجد صابر يعيد قراءة قصصه بعد أن يتم كتابتها ، يحذف كل ما قد يبدو زائداً فى تعبيراتها ، أو مفرداتها ، أو حتى حروفها الزائدة . إن قصصه تعبير بالغ الدلالة عن التكثيف فى القصة القصيرة. يذكرنى بقول لويس فرديناند سيلين :

«لكى تكتب رواية جيدة ، عليك أن تكتب ثمانمائة ألف صفحة ، لكى تحصل على ثمانمائة» ..

- الفنان يعنى بالتفصيلات الصغيرة ، بالجزئيات والمنمنمات . قد يختفى ذلك كله بابتعاد المشهد ، فهو يتجمع فى مشهد كلى ، ولكن اختلاط التكوينات يصنع لوحة ، تسمى - باكتمال المقومات ، أو باقترابها من الكمال - قصة قصيرة ..

- المواربة هى الفن . ينبغى ألا يستلم المتلشقى بضاعته جاهزة تماماً، إنما عليه أن يشارك فى تصور ماذا ستكون عليه النهاية . كذلك فإنه لابد من هامش يفصل بين الحقيقة والرمز . الوضوح الحاسم يسم العمل الفنى بالتقريرية والمباشرة . الفن ليس هو الواقع ، ولكنه الإيهام بالواقع . إذا وضع الفنان قارئه فى اعتباره مطلقاً ، واجتهد فى الشرح والتبسيط ، فإنه يلغى ذكاءه ..

وإذا كان من عمل الناقد - كما يقول ستانلى هايمان - عندما تتسع الهوة بين الأدب الجاد وذوق القراء ، أن يكون همزة الوصل بين العمل

الغامض ، أو الصعب ، وبين المتلقى ، فإن للمباشرة عيوبها ، وللغموض - إن كان وليد الضعف ، أو الضحالة - عيوبه أيضاً ..

يغيظنى أن يكون الغموض بلا ضرورة فنية ، يفرضه الكاتب من خارج العمل ولا يأتى من داخله . فإذا حاول الناقد تفسير العمل الفنى، فإن عليه أن يكشف المباشرة الزاعقة ، أو الوعظية ، أو يوضح دلالات الغموض إن كان مما يتحمله العمل الفنى ..

***

ليس الأجدر بالاستمرار هو الذى يمضى فى الطريق إلى نهايتها . ثمة الكثير من المواهب توقفت ، أو سقطت ، لبواعث أقوى من الموهبة ..

إن الاستمرارية قد تتحقق للقيمة الأقل والعلاقات الأفضل ، بينما تشحب الفرصة أمام من يكتفون بالإبداع دون جسور من علاقات شخصية أو عامة ..

أثق فى موهبة أمجد صابر ، وأشفق - فى الوقت نفسه - من أنها لن تهب كل ما نتوقعه من ثمارها ، إلاّ إذا امتلك أمجد عناد أمواج البحر ، فأقبل على الإبداع كقضية حياة ، دون أن يأذن لعوامل سلبية كثيرة أن تعوقه عن استكمال أدواته ، وإثراء موهبته ، والسعى إلى التحقق دون أن يفقد شيئاً من قيمه ومثله !

❑

محمد جبريل

مصر الجديدة ١٥/ ٧/ ١٩٩٩

الفئـران

طلب المعلم إلى أحد تلاميذه إحضار خريطة الوطن العربى ..قبل أن يستطرد المعلم فى الشرح كان التلميذ يستجمع أنفاسه المتقطعة وهو يقدم إلى المعلم خارطة ما إن رآها حتى حدجه بنظرة ارتعدت لها أطراف الصغير سأله :

- ألا يوجد غير تلك الخارطة الممزقة ؟ أجابه التلميذ ونظرة الخوف لم تبرحه .

- كل الخرائط ممزقة .

لم يستطع المعلم أن يمسك غضبه ، صاح :

- من فعل ذلك ..؟

دار السؤال على وجوه التلاميذ دون أن ينبس أحدهم .. أخذهم الترقب والقلق .. لم يحرك أحد منهم ساكناً .. ألقى المعلم بالأطلس فوق مكتبه وعاد يكرر سؤاله الغاضب ..

- ألا تدرون .. من فعل ..؟!

انتبه الجميع إلى إشارة من تلميذ فى منتصف الصفوف .. أذن له المعلم.. وقف التلميذ .. لمعة فى عينيه جعلت المعلم يتقدم نحو التلميذ .. الذى تحدث واثقاً :

- بالأمس وجدت مجموعة من الفئران ، يتقدمهم فأر مهيب ، تحوم فى دورات متتابعة فوق الخرائط .

طأطأ رأسه وكفه يفرك ذقنه .. مستطرداً ..

- لكنى لم أتوقع أن يفعلوا هذه الفعلة .. التمعت بعين المعلم دمعة حاول أن يمسكها .. ضغط على كتف التلميذ متحدثاً :

- وماذا تتوقع من مجموعة فئران ..؟!

دار بين الصفوف .. انطلق من وجهه المتجهم السؤال ..

- والحل ..؟!

وما أن تلقت أسماع التلاميذ السؤال حتى نطقوا فى صوت واحد:

- نطرد الفئران ..

ابتسم المعلم لهذا الرد الجماعى .. عقب متشجعاً :

- والخارطة ..؟!

عـاد الصـمت يحط على رءوس الجـميع . حـتى قطعـه نفس التلـميـذ والتماعته مازالت بعينيه :

- سأصلحها ..

تأمله المعلم والابتسامة تداعب شفتيه .. سأله :

- متى ..؟!

أجابه التلميذ بثقة واضحة .

- غداً ..

لكن التلميذ الأسمر الجالس فى أول الصف .. اتجه نحو المعلم .. تناول الخارطة .. مـد يده إلى زميله .. جذبه إلـى ساحة الفـصل .. بسط الخارطة على الأرض ، اتجه إلى المعلم محدثاً :

- الآن سنصلح الخارطة ..

تربع المعلم بجوار تلامـيذه الذين تحلقوا جـميعاً حـول الخارطة .. خلع فردة حذائه ..وقذف بها فأراً ضخماً فوق شباك الفصل ..

❑

الأهرام المسائى
١٦/ ١/ ١٩٩٦

محضرتحری

عوادم السيارات .. الحرارة الشديدة .. الأبواق العالية .. اللعنة .. ضغط على رأسه براحتيه عله يمنعها من الانفجار .. ارتكن إلى أحد الأرصفة .. تحسس تقاسيم وجهه .. قضم بعضًا من شعيرات شاربه .. شعر أن وجهه الممصوص قد تحول إلى بركة من المياه الراكدة كالتى أمام الدار القديمة .. كثيراً ما أنبته أمه على اللعب . أمه تخاف عليه من نسمة الهواء الطائرة .. ولم لا وهو وحيدها.. ترملت عليه صغيراً.. ورفضت طابوراً من العرسان:

- ابنى هو زوجى .

هكذا كان ردها دائمًا .. مع أذان الفجر تخرج لتبيع بعض الدجاجات القليلة التى لديها ولا تلبث أن تعود ، قبل أن يشعر أحد الجيران بغيابها . سألوها من أين لك هذا ؟ .. هو من عند اللّه .

تخفى وجهها الأسمر وعينيها الكحيلتين بطرف طرحتها وهى تودعه على باب الدار . دعوتها تختلط بدموعها وصوتها المتحشرج مع أذان الفجر يأتيها صوت قوى «إنّا رادوه إليك» .

يحمل حقيبته ويركب القطار إلى المدينة الكبيرة ..

الأيام عجلات فولاذية لا تقف .. عمله فى الأجازة الصيفية لا تكفى حصيلته متطلبات العام الدراسى .

عجلة الأيام تزداد سرعة والحصول على الشهادة الكبيرة حلم تحقق .. نحرت الأيام قلبها وهى تطلق زغرودة الحياة الجديدة .. نحرت دجاجاتها العتاقى . فداك هذا الذبح العظيم يا قرة عينى .

يضغط بأسنانه فوق شفته عندما يرى أمه وقد وهن العظم منها ولا تسأل للقضاء رداً .المدينة الكبيرة بها العمل كثير .. والإجابة واحدة :

- مؤهلات غير مطلوبة .

أصبح يستعذب الألم كلما كانت هذه الإجابة .. ليت أمه ما علمته .. فرك جبهته .انتبه على يد تهزه .. نظرة من نار جعلته ينتفض من مكانه .. الرجل ذو الزى الرسمى يكرر سؤاله .. مسح عرقه بكم قميصه .. اعتذر عن جلسته فوق الرصيف ، وبلهجة آمرة طلب منه الرجل أن يبرز تحقيق شخصيته .. مد يده المرتعشة فى جيب سرواله الذى يكاد أن يقطع جزءاً من جسده .. أخرج بطاقته من كيس «بلاستك» ناولها إلى الرجل الذى خطفها بقرف واضح بادره بسؤال انخلع له قلبه :

- أجنبى ..؟

وبابتسامة بلهاء نفى ما ذكره الرجل ، وقبل أن يكمل كانت صفعة قوية تدمى فمه ، وبإشارة من الرجل تجمع حوله أشخاص لا يألفهم .. استعاذ بالله منهم ولكنهم لم يرحلوا .. قذفوه إلى فم سيارة .. ابتلعته سريعاً .

لا يعرف الخيالات التى بجانبه ، سأله خيال :

- ما تهمتك ؟

ووسط دموعه الساخنة قال : اسألوا كبيركم ..!!

توقفت السيارة وبدأ الجميع فى الهبوط وبدأت الخيالات تتضح تدريجياً .. وبدأ يتعرف إليهم ، هم ربائب طفولته .

بدأ الصوت الجهورى يصرخ :

- الأجانب فى صف لوحدهم .

ودون أن يدرى وجد نفسه فى صف واحد مع كل الهابطين من السيارة.. وما زالت الأم تنظر فى السماء .

❑

الجـــدران

الجدران تضيق يوماً بعد يوم .. لم يستطع أن يمدد رجليه .. نظر للمتكور أمامه .. لم يعرف كم من الأيام ولَّى .. مسحت سبابته علامات محفورة فوق الجدار الراشح .. قام .. لف أصابعه حول الأسياخ الحديدية المرشوقة بالباب الضخم .. يعلم أنه لن يستطيع أن يمد رأسه خارجاً ، لكنه حاول ، مسح الصدأ من فوق جبينه ووجهه .. مال يرفع طبقاً من فوق الأرض .. مسح بأصابعه داخله .. أخرج لسانه لحس أصبعه .. لكن المتكور بجانب الجدار .. بادله ابتسامه نيئة .. التقطت يده كف الهام بالوقوف .. تواجها .. نفس الطول .. السمرة الممصوصة . الهالات تحت العينين .. بريق الحدقات المنكسرة .. تحسس شعره المجعد الأسمر بيمناه .

اضطرب لصوت أجش خلف أسياخ الحديد - تغيرت الوردية - أتى صاحب الشارب المنكوش و«كابه» المكبوس فوق رأس الثور .. انفرجت أسنانه عن مغارة نتنة .. تحدث وهو «يشخلل» بمفاتيح فى يده .

- هه . مش حترجع عن اللى فى دماغك ..؟

تقدم خطوات نحو الباب .. اعتصر رأسه هل يتحدث بلغة لا يفهمها؟!

عاد للخلف .. استدار .. واجه الحائط الرطب .. تقيأ .

كان يمشى بمفرده .. طريق الكورنيش طويل .. قمامة على الجانبين ..! رائحة العفن جعلت الجميع يسدون أنوفهم .. أفواههم .. شعر بالعطش . مياة النهر تبلل الريق المتحطب .. مد كفه .. حمل بعض قطرات .. لحظتها قبضت على كفه آلاف من أياد فولاذية .. لم يعرف كيف تخلص منهم .. طار فوق الكورنيش .. كانوا أسرع منه .. لا مفر سوى الطلوع فوق

الكوبرى .. إذا اقتربوا فهنيئاً للسمك بجسده .. بإشارة من كبيرهم .. توقفوا . شعر بدوار فوق السور .. تقيأ .

ناوله الواقف بجواره بعض الماء .. تغرغر .. بصق .

عاد ينظر لوجه الثور الملتصق بأسياخ الحديد .. طأطأ رأسه قال بصوت خفيف .. رجعت ..!!

رمقه الواقف قبالته بنظرة كهربته «كحت» الجدار الراشح . أسند جبينه فوق الجدار أطبق جفونه .. تسلل إليها الضوء .. تناسى محاولة صاحبه وهو يجذبه من ذراعه .. لم يستطع أن يضعه - رغم نظراته المستحلفة - ودموعه التى هتكت أحشاءه .

يعرف أن كل العيون ترقبه .. كلمات التحذير توش فى أذنه .. تحسس بقايا شعره الأبيض المنعكس على صفحة النهر .. مازال يشعر بالعطش .. مد يده إلى ....وخلف الباب الضخم .. ذاب الجسدان الواهنان فى عناق طويل .

❑

المسانى
١٩٩٨/٧/٢٦

عندما اقتربت السادسة

طوح بيده قـدر استطاعتـه .. تأمل الدوائر التى صنعها الحـجر الصغـير على صفحة الماء .. ابتسم .. ترى كم عمـر هذه الترعة ؟ قفز .. تعلق بأحد فروع شجرة التوت العتيقة التى لم تنحن للزمن .. عاد ليتمعن فيما حوله .. مظلة خضـراء تشكلها أشـجار التوت تشـرح القلـب .. والنسمـات الرطبة تجفف عرقـه .. تنهيدة حارة نهبت رئتـيه .. حاول أن يقايضـها ببعض تلك النسمات المتبخترة . رمى ببصـره ناحية إحدى السـواقى الساكنة .. تساءل : لِمَ توقفت ؟ وسـرعان ما أتتـه الإجابة من خلال صـوت المحرك المسـتخدم لرفع المياه .صوت حاد كأنه أحد العازفين النشاز فى فرقة موسيقية متكاملة.

بدأت أشعة الشمس البرتقالية تلثم وجه الماء المتأنى .. نظر إلى ساعته .. أخذت ملامـحه فى التغيـر ..كأنما احتل اليأس قلبـه .. قطع إحدى الزهور الذابلة .. خبط ركبتيه بيده . شعر أن ساعته تختلف عن أى ساعة أخرى .. يبدو أن الدقائق قد تحولت بها إلى ساعات .. أربع سنوات قضاها غريباً .. كان يسـتحلفها أن تسـير .. يرجو عقاربهـا أن تتحرك .. كان الحنـين يعصر قلبه كم اشـتاق إلى تلك الجلسة الهـادئة ،وكم عايشته تلك الأشـجار أيام صباه .. وكم تبادلت معه هذه الساقية الذبيحة أحلى البـسمات ....

وهى .. أين هى ..؟!

ترى ألا زالت على عــهـدها مـعى .. قـالت : سـأنـتظرك .. سنة ..!! داعـبت شعـيرات صـدره البارز .. العـمركـله .. وهاهى السنة قد تحـولت لأربع .. كان بوده لو جـمع كل أموال الأرض ليضعـها تحت قدميـها ، وإن كانت ثمناً بخـساً لابتسـامة رضا منها - كل آمـاله هى ، لم تنقطع خطاباته لها يوماً واحداً .. كانت شقيقته هى مرسال الغرام بينهما .. لم يحزن عندما

أخبرته شقيقته بأنها لن تستطيع أن تبادله رسائله ، فالتقاليد هنا صعبة وإن كانت تقرئه السلام .

لم يشأ أن يخبرها بموعد وصوله ، فالمفاجأة ستكون بمثابة الصدمة الكهربائية التى تعيد للحب انتعاشه .

اقتربت الساعة من السادسة .. نفس موعد لقائنا .. ترى هل غيرتها السنوات الأربع .. الابتسامة الحلوة .. العينان الزرقاوان ... الشعر الذهبى متمرداً على النسمات الملحة .. خطواتها الرشيقة .

عاد ينظر فى ساعته .. تململ .. من بعيد لمح خيالاً .. هم واقفاً يلحظه .. بدأت الخطوات الوئيدة تقترب .. تمرد قلبه هل تكون هى ؟

تأملها وتأملته دارت على الشفاه الصامتة كل أحاديث الدنيا .. شوق .. لهفة .. حنين .. تمنى لو ارتمت فى أحضانه .. تطفئ بدموعها نار الشوق .. ولكنها لا تفعل .. فقدت الألسنة وظيفتها دخلت سجن الصمت .. حملق فى عينيها .. كأنما يقرأ فيها أحداث الأربع سنوات الماضية .. مال بطنها قد تكور هكذا .. حبلى ؟!!

- تزوجت إذن .

على وجهه الممتقع - ارتسمت ابتسامة ليس لها معنى .. التفت إلى ماء الترعة الجارى .. تمتم .. خلع ساعته .. طوح بها إلى الترعة .. تأمل الدوائر وهى تتسع وتتسع وتتسع ..

أسندت ظهرها على جذع الشجرة .. تابعت الساعة وهى تبتعد . تحسست بطنها المتكور .. مسحت راحتها أسفل جفنيها .

❑

جريدة المساء
١٩٩٦/٢/٢٤

العِرض

٣١

مع الضوء الأول للفجر .. قام بهدوء يلملم أشياءه المتبقية .. قبل أن يغلق حقيبته كانت أمه تربت على كتفه .. بدون أن تتكلم أخذت من يده الحقيبة وشرعت فى ترتيب أشيائها من جديد .. دنا منها مسح رأسها براحته .. حدثها :

- حرصت على عدم إيقاظك ..!!

عندما أغلقت الأم الحقيبة أحدثت «السوستة» أزيزاً مسموعاً .. استدارت نحو ابنها .. ضغطت على يديه وهى تجلس بجواره على حافة السرير .. سألته ودموعها تغتسل فى عينيها :

- ماشى من غير ما تسلم على ..؟!

ضم رأسها إلى صدره .. حاول أن يخفى دموعه وهو يجيبها :

- أكره لحظات الوداع ..

تربعت فوق السرير .. زفرت من أعماقها .. مسحت أسفل جفنيها .. هزت رأسها ملتقطة خيط الحديث :

- الوداع كلمة أكرهها أنا أيضاً ..!!

أسبلت عينيها .. وضعت رأسها فوق رأس السرير .. سرحت مستطردة:

- بعد زواجى من أبيك بعشرة أيام جاءنا الخفير من دوار العمدة .. أخبرنا بأن أباك مستدعى للجيش .

انتفضت .. قبضت على يد ابنها بشدة تركت الدموع فوق خدها .. استرسلت :

- يومها .. خفت .. مسكت فيه .. بوست رجله .. قلت له لا تذهب .

اعتـدل الابن فى جلسته . حـملق فى وجه أمه مـترقبـاً عضت على يدها .. أحضر لها «قلة الماء» .. شربت :

- الحمد لله ...

قطعت على ابنها ترقبه :

- لكن أباك كـان جامـداً .. لم يكذب الخـبر .. لم حـاجتـه وطار على الجبهة داعب شفتيها طيف ابتسامة .

- قبل الرحيل .. أخذنى فى صدره .. ضحك بصوت عال .. قال لى :

- العرض الكبير .

مدت رجليها .. رفعت حاجبيها .. خفضت من صوتها :

- يومها ما فهمتش معنى الكلمة .. يعنى إيه العرض الكبير ..؟

قامت .. فـتحت الشبـاك المطل على الترعـة .. أخذت نفسـاً عميـقاً .. وقف الابن إلى جوارها متلهفاً .. طلب منها أن تكمل :

قـفل الدولاب اللى قـدامك ده .. أخذ المفـتـاح معـاه .. بعـدها بأيام .. الحرب قامت .. قلبى انخلع .. بعتلى جـواب .. عبرنا القناة .. وباكتب لك من فوق تراب سينا ..

أخـذت نفسـاً عمـيقـاً مـرة ثانية .. رنت إلى حـمـامة بيـضاء ترفـرف بأجنحتها فى السماء .. استطردت :

- حـسـيت بضـحكتـه فى جـوابه .. قـال رملـة سـينا تلـونت بالدم الطاهر..قبضت يدها على بعوضة فى الهواء :

- ساعتها .. عرفت يعنى إيه العرض الكبير ..!

ترك الابن أمه .. اتجه إلى صورة معلقة .. تأملها .. علقت باسمة :

- صورة فرحنا لم يرها .. كان خطابه الأول هو الأخير .

اقتربت من دولاب صغير فى ركن الغرفة..حاول كثيرون فتحه بلا فائدة

مسح الابن دموعه .. شد نفسه من العالم البعيد .. نظر فى ساعته .. طوق أمه بذراعيه ، قبًّل رأسها .. حدثها معتذراً :

- يجب أن أرحل .. اليوم آخر موعد لتسلم الأرض الجديدة فى سيناء.. دعواتك ، جذب الباب خلفه .. شيعته الأم بدعواتها .

بعد أيام توالت .. دق قلبها مع دقات الباب الخارجى للدار .. قطع عليها عامل «البوستة» قلقها بابتسامته العريضة :

- خطاب يا ست أم منصور ..

التقطته بيدها المرتعشة .. جالت عيناها تلتهم السطور :

أمى .. مع أول ضربة فاس فى أرض سينا .. عثرت على شيء مهم.. وجدت مفتاحاً .. عرفته احتفظت به .. ومسبحة .. شمى رائحتها .. أرسلتها مع خطابى .. وحفنة من رمال سيناء العرض الكبير .. ضمت الأم الخطاب إلى قلبها تابعت أسراب الحمام وهى تحط فى فناء الدار .

❑

الدمية

شيكو ..... شيكو ..... طقطقات .. دار على عقبيه أخذ يلملم خيوطاً رفيعـةً ملقاةً على الأرض مال على بعض الدمى القـائمة فى صندوقٍ تعلوه رسوم «مزركشة» أخرج الدميـة الأولى .. لف حول جسمها «الكاوتشوك» مجموعةً من الخيوط ..

همس فى أذنها .. أنت مـبروكة خـادمتى المطيعـة ، جذب خيطاً رفيـعاً ملفوفاً حـول سبابته فانحنت رأس مـبروكة ..أطلق صوتاً غريباً مـعبراً عن سعادتـه .. أخرج دميةً أخرى داعب لحـيتها البـيضاء المصنوعة بمـهارةٍ كرر فعلـته السابـقة مع الدمـية ذات اللحـية وما أن انتـهى من لف الخـيط حول رقبـتهـا مال عليـها هامـساً .. أنت الشـيخ صادق ، جـذب الخيط فـانحنى كسابقـته أخذ شيكو يهز رأسـه عدة هزاتٍ متتابـعة ، ظل يخرج كل الدمى ويكرر خطواته من ربط الخيوط وتحزيم الدمى حتى تحلقـت حوله مجموعة كبيرة منها ، راح يتأملهم وجلد وجهـه المشدود يبرز جحوظ عينيه .. جذب خيطاً فـانتصـبت مبـروكة واقفـةً ، أرخاه فـجلست .. جذب خيـط الشيخ صادق فـانحنى راكعاً .. جـذب كل الدمى فانحنت راكـعةً .. رفع سبـابته فانتصبت الدمى تقدم خطواتٍ فتبعته .. شد إليه الشيخَ صادقًا ، وضع كفه الصـغيـرة بين كفـيه .. فـركهـا .. أخذ ينزع شـعيـرات ذقنه .. نزلت كف ضخمـة تجمع الدمى بعد أن فكت خيـوطها من كف شيكو .. وضعـتها فى الصندوق ذى الرسوم المزكرشة، مالت نحو شيكو، نزعت من ظهره مفتاحاً يحدث دورانه أزيـزاً خفيـفاً .. ربتت على رأسـه .. رفعت شيـكو من فوق الأرض كان يبدو أكبر حجماً فى سكونه من كل الدمى داخل الصندوق .

❑

البرنامج الثقافى خارج القاهرة
فبراير / ١٩٩٦ م

عزيمـــة

وجـهها الشاحب وعـيناها المنكسـرتان مـزقت أحشـاءه .. اقتـرب من سريرها .. ركع وهو يقبل يدها الصغيرة :

- غداً تقفين على قدميك .

من خلف ابتسـامتها الحـزينة رفعت يدها ، وعيناهـا ملتصقتـان بسقف الحجرة:

- يارب اشفيني علشان خاطر بابا .

سحب علـيها الغطاء وهو يمسح العرق المتفـصد من جـبينهـا وبصوت متهدج ردد دعاءها .

***

همس الرجل السمين وهو يلقى بمظروف فوق المكتب :

- ابنتك مريضة .

دفع الرجل بعـيداً .. ألقى إليـه بمظروفه أقفل درج مـكتبه .. لم يلـتفت لتعليق الرجل بأنه «وش فقر» .

***

قبل جبين ابنته .. طمأنها بأنها أحسن حالاً .

***

اعتذر عن كـوب العصير شـاكراً .. جلسـت بجواره .. داعبت أنفـاسها تقاسيم وجهه .

ازدادت به التصـاقاً وهى تقـدم له المبلغ المطلوب .. همت أن تخلع عنه

قميصه ، وهم أن يطفئ لهيب شفتى تلك الأرملة ، تذكر دموع ابنته .. انطفأ ذلك اللهيب .. انتفض واقفاً أزاح النقود .. أسرع يفتح الباب .. بصقت عليه متمتمة :

«وش فقر» .

***

شعر بغصة فى حلقه .. أى تقصير فى حق الطفلة ، أنصت لخطوات خلفه.. أسرع فأسرعت .. سرق التفاتة سريعة فاذا بالرجل السمين يتبعه فأدبر مسرعاً .

***

بهدوء فتح باب حجرتها ، وروحه معلقة على نفس قد يخدعه ، احتضن صغيرته .. رفعها بين يديه .. ابتسامتها الصافية آمنته من خوفه .. مسحت بيدها الصغيرة جبهته هامسة :

- بابا .. أنا قدرت أقف على رجلى النهارده .

ضمها إلى صدره بقوة .. اختلطت دموعه بابتسامته .

من إحدى النوافذ شعر بتيار من الهواء الساخن ، .تقدم .. أغلقها بإحكام.

❑

الأهرام المسائى
١٩٩٣/٦/٢٩

غرامة

تنهد .. عصر منديله .. تأمل قطرات العرق المتساقطة .. تحسس وجهه الساخن أغمض عينيه وهو يتابع قرص الشمس القاصى .. «تباً لهذه المهنة». اندفع .. أمسك بأحد المارة :

- خمسة جنيهات .

قالها وهو يخرج بعض الأوراق التى بدأ يدون فيها «إنه فى الساعة» .. تفحصه الرجل الواقف أمامه .. صرخ فيه :

- ماذا تفعل ..؟

زفر :

- غرامة نظافة يا أستاذ .

عاد الرجل ينهره :

- لماذا ..؟

- هذه الورقة التى ألقيتها على الأرض .

ضرب الرجل كفاً بأخرى .

- إنها بيضاء .

أجابه بنفاذ صبر :

- ولو يا أستاذ .. النظافة عنوان الحضارة .

لم يجد الرجل مفراً .. نقده مبلغ الغرامة وهو يعطيه بياناته ، والغيظ يقتله..!!

اندفع مرة أخرى وهو يقبض على يد أحد الصبية :

- قف .. غرامة .

ومرة ثالثة .. ورابعة .. وخامسة ... و... و... و... انتحى جانباً فوق

أحد الأرصفة .. أخذ يراجع أوراقه .. مط شفتيه .. تساءل :

- لماذا لا يحافظون على النظافة ؟

لملم أوراقه فى حقيبته الصغيرة .. نظر فى ساعته ، أخيراً سيعود إلى منزله.. انتبه إلى بعض الأوراق المتكورة فى يديه .. بحث عن صندوق للقمامة .. بحث .. وبحث دون جدوى قذف بها إلى الأرض ، تأملها وهى تلهو فى الهواء مصمص شفتيه .. تمتم .. أخرج أوراقه :

- غرامة .

❑

جريدة المساء
١٩٩٣/٢/١١

أمنية

تنهيـدة حارة كأنها نار تسـرى فى صدره .. ضرب كفـاً بأخرى .. ركل قطة تتمسح بقدميه .. صفق الباب خلفه وهو يتمتم بألفاظ غير مفهومة .

قدم له صـديقه كوب الليـمون متـصنعاً ابتسـامة علهـا تطفئ ذلك الجو الملتهب ..زفر بأسى وهو يتحدث لصديقه :

- الحياة مع أمنية زوجتى أصبحت مستحيلة .

اعتدل فى جلسته مستطرداً :

- لا أجد سبباً واحداً لغيرتها الشديدة من سكرتيرتى .

ربت صاحبه على كتفه ، ومازالت ابتسامته المرسومة على شفتيه :

- من المؤكد أن هناك ما أثارها .

غمز بعينيه مستطرداً :

- لا بد أنك عدت لشقاوة زمان .

أجابه متأففاً :

- يا سيدى الفاضل لا شقاوة ولا يحزنون .. البنت طيبة ، ومخلصة في عملها .. مستدركاً :

- تقول إنها جميلة و.. ودلوعة .

أطلق صديقه ضحكة عالية .. تلقفها بغيظ واضح :

- أيها الغبى .

فتح صاحبه إحدى النوافذ فتسللت نسمة ناعمة كأنها تشارك فى تهدئة هذا الحديث الحار .. جلس بجوار صاحبه مداعباً :

- يبدو أن زوجتك لاحظت دلالها عليك .

قاطعه :

- صدقنى إنها جادة كل الجد .

أشعل صديقه سيجارة وناولها إليه :

- إذن ماذا ..؟

حاول أن يبدو هادئاً :

- فى إحدى حفلات العمل كانت سكرتيرتى تقوم بجهد خارق من استقبال للضيوف وترتيب المواعيد .. وتجهيز الخطط .. الحقيقة نالت الثناء من الجميع .. لباقة وذكاء .. حضور غريب ..!!

رماه صديقه بطرف عينه .. عاجله بسؤاله :

- ولماذا لم تدع لزوجتك هذه المهمة ؟

شعر أن أعصابه تحررت من جسدها :

- يا بنى آدم أنت أول العارفين أن عصبيتها الزائدة لا تجعلها تتحمل الاجتماعات . أطفأ صاحبه سيجارته .. ضغط عليها بشدة .. هز كتفيه ولم يبد أى تعليق . أشار إلى إحدى الغرف محدثاً صاحبه :

- هذه غرفتك أيها الزوج العزب .

مدد قدميه .. دفع بهما الغطاء.. حقاً أعزب .. أسند راحتيه تحت رأسه عاد يهمس :

- إلى متى ذلك العذاب والشك .. دار بذاكرته للوراء .. عندما كان طالباً بالجامعة .. التقى بها .. هادئة .. جميلة جمال الطبيعة .. ثقافة عالية .. ابتسامة عذبة ..أحلام فى الغد .. ضرب كفه ، بعوضة لسعته بشدة .. الآن .. شديدة العصبية ..

أصبحت كعروسة المولد .. مساحيق .. شعر مصطنع .. أشعل سيجارة. أخذ يتجول فى الحجرة .. ذهاباً .. ومع كل ذلك لم أفكر يوماً فى غيرها.. إياباً..كيف وهى رفيقة عمرى ..!!

ألقى بنصف السيجارة .. مط شفتيه .. رغم أنها هي التى اختارت السكرتيرة ، وأثنت عليها .. مهذبة ، مثقفة ، مطيعة .

نغزته معدته .. تذكر أنه لم يتناول عشاءه .. بل حتى غداءه .. الأمر للّه لقد خرج صاحبه لعمله الليلى .. لأتناول عشائى وحيداً.. إنها ليست المرة الأولى ، هرش فى رأسه .. السكرتيره يا أمنية .. لماذا ؟

وعاد الشريط يهمس فى أذنه .. مهذبة .. مثقفة .. هادئة .. مطيعة ، ظل غارقاً فى تفكيره لا يعرف أين تقوده قدماه .. فجأة توقف أمام إحدى العمارت .. تأمل طابقاً بعينه .. عدل رباط عنقه ..!!صعد .. طرق الباب .

فتحت له سيدة تداعب الشعيرات البيضاء مفرقها .. ما أن رأته حتى تهلل وجهها :

- أهلا سعادة البيه .. تفضل :

ثم وجهت نداءها إلى داخل المنزل :

- أمنية .. أمنية .. سعادة البيه .

- أمنية ..!!

أغمض عينيه للحظات .. هرش رأسه .. عاد يكرر .. أمنية !

نعم أيضاً اسمها أمنية .

شعر براحة لم يألفها منذ فترة طويلة .

❑

أحرار الشرقية
١٩٩٦/٩/١

انهيـار

انحنى ..

رفع بيده إحدى الحقائب - هى آخر ما تبقى - جال ببصره يلتهم أركان المنزل حمل قدميه .. أخذ يتجول فى البهو الواسع .. سمع دقات حذائه عالية .

تأمل بصمة لإحدى الصور المنزوعة .. كانت صورة له مع أبيه .. التقطت فى حجرة الضيوف .. وهذه الحجرة المقابلة حجرته وهو لم يزل صبياً.. شدته الشخبطات المطبوعة على الحائط .. أخرج منديله .. حاول أن يزيلها ..أبت إلا أن تبقى .

انتقل إلى الحجرة المقابلة .. أوسع حجرات المنزل .. بعد أن حصل على الشهادة الإعدادية أصر أن تكون له . وكان ذلك بعد معركة حامية الوطيس.. لم يعبأ لغضب الأسرة يوم قرر طلاءها بلون مخالف للون المنزل.. ما زال كما هو .

هذه الحجرة حجرة أبيه رحمه الله .. لم يكن يجرؤ على أن يقترب منها، دلف ثانية إلى البهو الكبير .. عاد يتأمل الجدران .. حاول أن يبدى اعتزازه.. شعر بها وهى تدير ظهرها له .. وشوشها .. لفحته نسمة طرية .. تتبع مصدرها تلك النافذة المطلة على الجيران .. ووفاء ابنتهم .

- هيه أيام .

- توووو ووو وت .. .. .. !!

عاد صوته يصفعه من جميع الجوانب .

صعد إلى سطح المنزل .. تأمل زرعة اللبلاب .. لقد اصفرت .. تحسس جبهته .. جذبه طفله الصغير :

- أبى ، أمى تتعجلك .

أفاق من شروده .. فرك أصابعه :

- أمك هى التى أصرت على البيع .. نضع جزءاً فى المصرف ، ونستأجر بالباقى مسكناً آخر ، حتى نضمن عائداً شهرياً .. راتبى لا يكفى ، لديها حق ..

صك أذنيه نفير متصل .. هبط درجات السلم بخطوات وئيدة .. طالعه وجه زوجته داخل السيارة المحملة بمنقولات المنزل ..تعلق سرواله بالبوابة الحديدية . تخلص بصعوبة ..

عاد ليلقى نظرة هى الأخيرة .. لم يمنع دموعه وهى تلسع خده .

صرخت فيه زوجته .. رماها بنظرة غاضبة .. ارتمى داخل السيارة أطلق السائق نفيراً عالياً .. وانطلق .

أشار مودعاً .. حاول أن يشغل عينيه المعلقتين بالمنزل مع الطريق .. فجأة ، سمع صوت ارتطام شديد .. نظر للوراء لم يجد منزله فى مكانه تساءل:

- هل جاء ليتبعه ..؟

كانت سحابة كثيفة من الغبار .. حاول أن ينبه السائق .. يطلب منه أن يتوقف .. إلا أن السائق لم يستجب ..وعاد ليطلق نفيره عالياً ..

❑

الأهرام المسائى
١٩٩٦/٥/٧


٥٢

الطــوق

شددت السيدة الأنيقة من قبضتها على السلسلة الحديدية التى تنتهى بطوق من الجلد المزركش يلتف حول رقبة .. .. .. !!!

إلى هنا وعقدت الدهشة لسانه بعد أن شلت أفكاره ، وأوقفت مقلتيه عن التحرك .. يااااه .. كيف وصل بك الحال إلى هذا الحد أيها الملك .. أين عرينك .. أين عرشك ..

تحركت عيناه مع الأسد وهو يتمسح بقدم السيدة التى ربتت على رأسه بنعومة واضحة .. صعدت إلى رأسه فكرة مجنونة .. أومأ مؤكداً . ظل يرقب السيدة .. وما أن لمح انشغالها حتى استجمع شجاعته ، واقترب من الأسد الذى تدلى لسانه الطويل معبراً عن استيائه من الحرارة الشديدة .. لم يحرك الأسد ساكناً وهو يعبث بناحية فى محاولة لفك الطوق .. ترى أين سينطلق ؟

سؤال دار بذهنه .. أخيراً انحل الطوق .. هيا انطلق انطلق أيها الملك .. الآن أصبحت حراً .. لم لا تتحرك ؟! لكزه بقدمه ومن مرقده أطلق الأسد زئيراً عالياً هز المكان بأكمله .. وما أن انتبه الحضور للأسد الطليق حتى انطلقت الصرخات واكفهرت الوجوه .

انتبهت السيدة لما حدث تقدمت بثبات واضح وبنظرة آمرة نحو الأسد عاد سريعاً واضعاً ذيله بين قدميه .. مد رقبته داخل الطوق ، وبحركة بسيطة أصبحت السلسلة فى قبضة المرأة .. وعاد الأسد يتمسح بقدميها ..

أشارت بيدها فتبعها رجل عليه مسحة من وقار ..

تساءل :

- من هذا الرجل ...؟

❑

السباق

كور يديه .. نفخ فيهما بشدة ..انطلق يسابق الريح .. ترنح وهو يحاول أن يلتقط إحـدى زجاجـات الماء عله يجد بها مـا يروى ظمأه .. مـسح بيده على وجهه الذى اتخذ لوناً رمادياً .. أغمض عينيه حتى لا تصيبهما قطرات العرق المتساقطة فوق جبينه .

تحسس قلبه .. أخذ نفـساً عميقاً .. الحمـد لله .. مازال يعمل ، كله أمل فى الفوز بالسباق .. وإلا ..!!

لقد فـقد جـولات كثيـرة ، ولم يعد هناك مـتسع للمزيد .. تلـمع عيناه ببريق ذى مـعنى يزيد من سرعـته كلمـا طرقت الفكرة برأسه .. لقـد مرت معظم عربات القطار .. ولا أمل إلا أن يلحق بهذه العربة .

عندما ربت صديق له على كتفه مقدماً له إعلاناً عن تلك المسابقة ، وهو يشعر كأنها تهنئه بالفوز لا مجرد عرض للاشتراك ..!!

يختلس نظرة إلى الوراء .. ينطلق كسهم عـرف هدفه جيداً إذا لمح أحد المتبارين يقترب منه ، بوده لو دفعهم بعيداً حتى لا يلحقوا به .. بصق .. كان يعتقد أ ن موسم الحصـاد قد حل .. تخرج من الجامعة .. طرق كل الأبواب يطلب وظيفة .. أشاروا إليه بالبحث عن واسطة ..!!

- واسطة . ؟!

من أين .. إن أباه يخشى من عسكر النقطة .. يسميهم الحكومة .. أبوه.. أبوه الذى أصبح جلبابه على ألف لون من كثرة مابه من رقع .

يحاول أن يحمل عنه الفأس .. يمنعه :

- أنت أفندى .. غداً تحـصل على الشهادة الكبيـرة ، وتكون مثل أفندية البندر . عندئـذ لن أرفع الفـأس وستـحـمل أنت مـعى هموم إخـوتك .. تساعدهم ليصبحوا أفندية مثلك .

وهأنذا يا أبى قـد حصلت على الشـهادة الكبـيرة ولكنها لـم تكن إلا ما أحضر الغراب . !مازلت كما أنا .. كاد أن يفقد توازنه ...سعل بشدة ..

لم يزل أبى يحزم وسطه .. يضرب الأرض بفأسه .. كأنما يضرب حظاً عنيداً . يفرغ فيها غيظاً مكتوماً .. الحالة قد تغيرت .. زحف الشعر الأبيض على رأسه ولحيته ..

عرف الطريق إلى الأطباء .. أخرج إخوته من الدراسة .. العين بصيرة.. اتعلموا لكم صنعة .. أحسن .. فماذا صنع الأفندية ذوو الشهادات ..

التقط بعضاً من أنفاسه الهاربة .. أخرجت حنجرته صوتاً يشبه صياح الديك .. ود لو احتضن الأرض وقد تحول وجهه إلى لون رمالها .

لاشك أن الإجهاد قد افترسه ، ولكن رغبته فى الاستمرار كانت أقوى من أى شىء . إن عائد هذا العمل لا بأس به خاصة فى هذه الظروف .. فى أجازة دراسية سافر إلى إحدى الدول العربية .. وبصعوبة عثر على وظيفة حارس بملهى ليلى .

بمجرد أن تهيأ له مبلغ يكفى لعودته وسداد دينه .. عاد .. بدت لناظريه إشارة النهاية .. دقائق معدودة ويتحقق حلمه فهو الأقرب لها .. دائماً ما كان متفوقاً فى دراسته .. إنه لا ينسى يوم تخرجه وكان الأول ، رشحته الجامعة للعمل بها .. اعتقد أن فى العمل الحر متسعاً أفضل ..

آه .. آمال .. تلك الزميلة الجميلة الرقيقة التى بادلته قصة حب ظنا أنها ستعيش ألف عام ، تهزم كل الماديات ، تختلف عن أى حب آخر .

آمال .. لقد تزوجت من طبيب يكبرها بعشرين عاماً .. يمتلك شقة وسيارة .. لم يكلف أباها شيئاً .. فهو أصلاً لم يكن يمتلك شيئاً .

نعم .. تزوجت آمال ..

لم يستطع أن يخفى تأثره يوم التقى بها مصادفة وسألها عن أحوالها .. قالت وهى تطبق جفونها .. تستحلف دموعها ألا تفضحها قالت له :

- ادع لى بالرحمة واذكر محاسنى .

هيه .. خطوات قليلة وينتهى السباق .. آآه .. عندما يعلن انتصارى .. أسرع إلى أبى .. أمسح آخر قطرة عرق من فوق جبينه أقبل يديه .. أطلب

منه أن يعود لداره .. فقد آن أن يستريح ، أحاول أن أعيد إخوتى إلى دراستهم بجانب ما تعلموه من صنعة ،قد أعود لاستكمال دراستى بالإضافة لعملى هذا .

لم يبق إلا ثلاث خطوات وأنقض على تلك الشارة .. خطوتين .. خطوة .. هيه التقطها .

ارتمى أسفل الصارى الذى كان يحملها .. أغرق نفسه بكميات كبيرة من الماء .. دار بحركات بهلوانية .. الآن أصبح ذا أهمية ..

ولكن ما هذا الصمت ؟ ما الحكاية .. لا تشجيع ولاتهنئة .. تلفت حوله لم يجد إلا شيخًا يهرول نحوه .. لحيته البيضاء برواز لوجهه المستدير .. آلاف التجاعيد تحيط بمقلتيه .. تتهدل خصلات الشعر الأبيض فوق أذنيه.. رغم ذلك فهو قادم بمنتهى السرعة .. مال عليه الشيخ متسائلاً عن سر توقفه .. باقى المتسابقين أوشكوا على اللحاق به .. ابتسم وهو يتأبط ذراع الشيخ محدثاً إياه بأنه قد التقط الشارة فقد انتهى السباق .

ابتسم الشيخ ابتسامة أوسع من ابتسامته .. هدهد على ظهره قائلاً :

- بأن هذه شارة البداية .. ارتفع حاجباه بحركة لا إرادية .. شخص ببصره للاشىء .. حملق فى وجه الشيخ .. ماذا تقول ..؟

صرخ بكل قوة .. التفت خلفه .. بالفعل لقد اقترب باقى المتسابقين جداً .. إنهم كالطوفان .. كادوا يستقيمون معه .. دارت رأسه بالأفكار . أينسحب .. شوط طويل قد قطعه ومن الممكن أن يكون فى انتظاره شوط أطول .. هل يتحمل المزيد من الجهد ؟!

فى طرفة عين مرق أحدهم بجواره .. لم ينتظر.. كانت قدماه قد سبقتا عقله.

كور يديه نفخ فيهما بشدة ..

وانطلق .

❑

يرحمكم الله

تابع الرجل وهو يتهيأ لاعتلاء المنبر .. العيون متطلعة والرقاب مشرئبة.. تنحنح الرجل وكأنه يؤكد على إنصات الجميع .. حمد الله وصلى على نبيه .. حدث فانفرجت الآذان .. وشرح فوجلت القلوب .. تلاعبت الدموع بالعيون .. وغشت الساحة رائحة عطرة ، فتنفس الجميع من أعماقهم وحلقت الأرواح فى سماء بعيدة .

ترجل من فوق منبره .. أذن بإقامة الصلاة .. نوه .. القبلة إلى اليمين قليلاً .. اصطفوا خلفه .. نادى :

- استقيموا يرحمكم الله ..

ولكن الهمهمات المتواترة جعلته يكرر نداءه .. استقيموا .. فإذا بالهمهمات تتزايد والأصوات تتعالى .. اختلس نظرة للوراء .. الصفوف كأنها ثعبان يتلوى .. زعق غاضباً :

- استقيموا ..

تعالت نداءات المصلين وتداخلت أصواتهم .. ساووا .. ساووا .. وفجأة ..

انجذبت الأعين نحو صوت جهورى فوق المنبر فازداد جسم الثعبان التواء .. وانفرجت الساق عن الساق .

حمد الله وصلى على نبيه ..

رتل بضع آيات ثم أخذ فى شرحها .. وكأنما صوته يستمد قوته من بطارية فرغت لتوها .. زاد اتساع عينيه فتدحرجت دموعه تبلل لحيته استجمع كل قواه .. صرخ :

- انتبهوا واستقيموا .

قبل أن يترجل من فوق المنبر مسحت عيناه الجميع. دعا الله ورددوا دعاءه.

تقدم .. تنحى بعيداً عن سابقه .. أشار بقيام الصلاة .. نوه .

- القبلة إلى اليسار قليلاً .

قاطعه الإمام الأول :

- القبلة إلى اليمين قليلاً ..

التوت الرقاب نحو صوت الإمام الأول .. لكن صوت الرجل الآخر تعالى حازماً :

- إلى اليسار قليلاً ..!!

أعاد بعض الرقاب نحوه .. وبقيت أخرى مع الأول .. اصطف البعض خلف الأول .. واصطف البعض خلف الآخر .. ووقف آخرون تمتطي رءوسهم رقابًا تتحرك بشكل آلى يمنه ويسرة .. وصوت الرجلين كقضبان قطار .. تتداخل .. تتفاوت :

- استقيموا ..!!

تعلقت برأسه ملايين الأسئلة .. أغمض عينيه .. اعتصر رأسه براحتيه.. تحسس قطرات حمراء تتساقط من أنفه .. البرودة تقرص أطراف أصابعه وعرقه يسلق جبينه .. لمح تشققات فى الواجهة .

التقط حذاءه .. وانصرف .

ومازال صوت الرجلين يطارده .

- استقيموا . يرحمكم الله !!!

❑

مجلة رؤى
يونيو / ١٩٩٦م

أديب وأوراق

٦٣

ارتكن إلى نافـذته الضيقـة .. سحب من سـيجارته نفساً عميقاً وعاد ليخرجه بتنهـيدة حارة .. مصمص شفتـيه .. آه منك يا زمن .. آه .. من فينا المظلوم .. أنا أم أنت .. ؟ أأنا الذى جئت متأخراً أم أنت الذى طمسـوك أحباؤك .. آآه .. ضاقت حدقته كأنه ينظر إلى شىء قادم من بعيد .. الحقول أمامه واسعة ترتدى ثوبها الأخضر الفضفاض .. سبح بخياله بعيداً حيث لا يبدو نهاية اللون الأخضر .. عاد ليمط شفتيه متحسراً .. أين حلمه بأنه يوماً ما سيصل إلى القمة الـتى يستحقـها عن جدارة .. كـان يأمل أن يأتى اليوم الذى تلقى فيـه العملة الرديئة ، بصندوق القمـامة .. تأمل دخان السـيجارة المتصاعد .. هز رأسه ساخراً من نفسه .. هاهى كتبه .. مولفاته التى كتبها .. كل صـفحـة فيـها هى يوم من أيام عـمـره .. كل سطر هو شريان يمتـد فى جـسده ، تخـيل أن كل رواية كتـبهـا ستـصبح حـديث النقاد .. تصـور أن الناس ستـعايش أبطالـها ، لأنهم هم أبطـالها ولكن .. مـازالت حـبيسـة أدراجه.. فضل أن يسجنهـا عن أن يعطيها براءة لا يرضى عنها .. رحب أن يعيش بدار مـن اللبِن بقرية صغـيرة .. رفض المدينة بكل مـغرياتهـا .. ماذا يريدون منه .. يريـدون أن يغيـر من أدبه بدعـوى مـلائمـة العصـر ، رغم اعتراف الجميع بأنه يفوق الكثـير ممن يرفعون القلـم ويشار إليهم بالبنان ، إن الأدب الجاد لكل وقت وكل موقع .. إنه يفضل الملابس الواسعة التى يرتاح إليها عن تلك التى يقال عنها «جينز» :

– عليوه .. عليوه .

أفـاق من غفلـته .. لحظات ويعى مـا حـوله .. زوجـته .. آه حـتى أنت فرضك القدر .. سحبـته من عالمه البعيد .. شخص إليها متـعجباً كأنه يراها

لأول مرة .. عادت تردد :

- إنت يا عليوه ..

- إيه .. فيه إيه ..

- الواد تعبان قوى ..

انتبه تماماً .. صرخ :

- تعبان ازاى .

اندفع نحو حجرة ابنه الصغير .. وجده راقدا تأبى عليه أناته أن تخرج.. جن .. طار ليأتى بطبيب الوحدة .. شخص الطبيب المرض .. حمى .. كاد أن يغمى عليه ..

- كملت .

كتب له الطبيب روشته بالدواء .. يا للكارثة .. من أين له بهذه المصاريف ؟

غالبت زوجته دموعها .. اقتربت منه :

- لازم تتصرف .. الواد يروح فيها .

لأول مرة يرى زوجته بهذا الانكسار .. دارى دموعه .. وماذا سيفعل .. ليس معه سوى جنيهين كذلك يعلم حال جميع أصدقائه .. لا يختلف عن حاله كثيراً .. موقف لم يكن فى الحسبان .. لا يوجد حتى ما يبيعه .. يبيعه.. هرش فى رأسه .. أسرع داخل حجرته .. ارتدى ملابسه .. حزم مؤلفاته .. لم يهتم باستفسار زوجته ..ركب أول قطار إلى المدينة .. عزم على بيع مؤلفاته إلى أحد الناشرين .. سيرضخ لشروطه .. الظروف صعبة.. رحب به الرجل .. عرض عليه عليوه ما معه .. قال بأنه يوافق على شروطه.. ابتسم الرجل ابتسامة باهتة قائلاً :

- أنا حادفع عشرة جنيه .

بهت عليوه .. عشرة جنيهات فى المؤلف الواحد .. اللعنة على الضيق.. اقتـرب من الرجل حدثه بأن العشـرة جنيهات قليـلة على المؤلف الواحد .. زادت ابتسامة الرجل اتساعاً :

- عشرة جنيه فى كله يا أستاذ عليوه .. السوق نايم .. لولا ..

قاطعه عليوه بإشارة من يده :

- سوق .. أى سوق هذا الذى تباع فيـه الأفكار .. أيام العمر وذكريات المرار .. أحلام السنين .. الفرح والأنين ..

رمقـه الرجل بنظرة مشمـئز .. حمل مـؤلفاته .. الطريق يطول أمـامه.. يشعـر أن الأبطال فى كل رواياته يقفزون منهـا ويسخرون منه .. يصفـعونه على قفـاه .. ويفرون ... أفـاق على صوت يناديه .. رجل يجـر عربة يد .. أبدى الرجل رغبته فى شراء الأوراق .. تطلع إليه عليوه ببله .. نقده الرجل خمسة جنيهات .. مازال يقلبها بيده .. دفع الرجل عربته .. روبابكيا .

❑

النخلـة

تأبط الأب ذراع ابنه .. ترك له تحديد الطريق الذى يسلكانه .. اقتنص الابن نسمة هاربة من الترعة الشرقية .. عقب أبوه :

- يبدو أننا وجدنا ضالتنا .. اختيارك هنا .

قبل الابن رأس أبيه .. حدثه مبتسماً:

- لا .

ترك الأب ذراع ابنه .. خاطبه معاتباً :

- بنى .. لقد احترت معك .. لم يبق إلا القطعة القبلية .. وأنت أول العارفين أنها تشبه الصحراء .

هدهد على كتف أبيه ومازالت الابتسامة تعلو شفتيه :

- لقد تركت لى حرية الاختيار - بعد قرارك الغريب - فليكن الاختيار لى ..تأوه الأب وهو يرتكن إلى إحدى الأشجار العتيقة فيفرش الأرض الخضراء وتبعه الابن ، تفحص الرجل وجه ابنه .. مسح ثمرة الخيار بطرف جلبابه قبل أن يشرع فى قضمها :

- يا بنى أنت الوحيد بين اخوتك الذى أفتخر به .. لم يحصل منهم على الشهادة العليا سواك .. «مداعباً» يا باشمهندس .

عدل الأب من مجلسه ليصبح أكثر راحة .. استطرد :

- لذا كان لك وضع خاص .. قرارى الذى تصفه أنت بالغرابة قد حاز القبول لدى إخوتك ؛ الإناث قبل الذكور .

عاد الأب ليقضم الخيارة ولكنه لفظها بسرعة :

- ياه .. علقم .

الحياة لن تدوم ، وأن أوزع ثروتى وأنا حى بينكم خير من أن تتنازعوها

وأنا فى قبرى .. لعبت الدموع بعيون الابن وهو يحتضن أباه :

- أطال اللَّه لنا فى عمرك .. لا تقل هذا يا أبى .

استند الأب على يد ابنه وهو يهم بالنهوض :

- هيه إنها الدنيا يا ولدى.. لله الحمد لدى الكثير.. وفى النهاية كله لكم .

- عرجا فوق جسر صغير حيث تبدو للناظر قطعة من الأرض يبدو أنها سهلة .. تأملها الابن ، رماه الرجل بنظرة كـأنه يطرد بها خاطراً ما .. تحدث لابنه :

- رغم خوف إخـوتك من قرارى بجعلك أنت على الأخص تخـتار ما تشاء من الأرض وهلعـهم من أن الشيطان قـد يلعب برأسك فتـجور على نصيبهم إلا أننى أكثر علماً بابنى (مبتسمًا) .. عقله كبير وشهادة عالية .

ويبدو أن الابن لم ينتبه لمداعبة والده .. فجأة علا صوته وهو يشير :

- هنا .. هنا يا أبى .

انتاب الهلع أباه :

- ماذا يا بنى هنا .. ثعبان ؟

أجابه الابن بملامح جادة :

- لا يا أبى هنا .. هنا .

- زعق فيه أبوه :

- هنا .. هنا .. ماذا هنا .؟

أجابه الابن بنفس الجدية :

- أرضى .. هنا الأرض التى تمنحها لى .

ضرب الأب كفا بأخرى :

- هذه الأرض العقيم .. يا أبله ..!!

- لا يا أبى إنها ما زالت بكراً .. فكيف تعرف أنها عقيم ..؟؟

لكن الأب قد استبد به الغضب :

- لا .. لقد أفسد التعليم عقلك .. العوض على اللَّه .

توجه لأبيه وقد مالت نبرته تشبه الرجاء :

- وعدتنى وهذا اختيارى .

يقاطعه الأب :

وعدتك لتكون أفضلهم .. لا أقلهم .

الابن بإصرار :

- هنا الأفضل .

ولكن الأب قد فرغ صبره ورأى فى إنهاء النقاش حلاً :

- فلنعد الآن .

استوقفه الابن مستعطفاً :

- بالله عليك .. لا تخذلنى .

مط الأب شفتيه :

- لك ما تريد .

استقبل الإخوة هذا الاختيار بارتياح تام وأعلنوا عن استعدادهم لمد يد العون فى استصلاح تلك القطعة .

تفرغ الابن لتلك الأرض وأعلن معها معركة حامية :

- يا باشمهندس .. هذه النخلة تموت .. نقطعها ؟

قالها أحد المستأجرين للإصلاح :

تطلع ناحية النخلة .. تفحصها من أسفلها لأعلاها .. شكلها العام لا يوحى بأمل :

إشارة للمزارع فهم منها أن اتركها .

كرس كل وقته لعلاج النخلة .. أعاد الكشف على جذورها .. أحضر

لها بعض الأسمدة الجديدة .. قام بتغييرات فى التربة .. وعن كثب أخذ يترقب حالتها .

لم يكن الأب مرتاحاً لما يحدث .. وصف تصرف ابنه بالجنون .. أما من جانب الابن كان إصراره غريباً .. وقوياً .

وبالفعل بدأت النخلة تستعيد بعضًا من توازنها .. أخذ سعفها فى الاخضرار ثم ما لبث ثمر التمر أن ظهر فيها .

بلغت سعادته غايتها .. شعر أن هذه النخلة هى كل أهدافه أصبح يقضى كل أوقاته بجوارها .. وطعامه هو تمرها . يتمايل طرباً ويرقص فرحاً مع اكتمال نضارتها أيضاً بدأت الأرض من حوله تلبس ثوباً أخضر .. أصبحت القطعة الجدباء محط أنظار إخوته .. وإن وصل الأمر إلى حد الحسد .

استأذن أباه أن يشيد بيتاً بأرضه الجديدة .. وافقه والده مضطراً .. وبعد إلحاح شديد . قرر أن تكون النخلة هى الركن الأساسى الذى يقوم عليه البيت .. لم يدع أى أحد لمساعدته .. انتهى من بنائه .. مسح عرقه بطرف جلبابه .. نفض عن يديه بعض الغبار .. عاد إلى الخلف مسرعاً .. أخذ يتأمل البناء فى حضن نخلته .. انتابته موهبة الغناء فجأة .. قام بحركات راقصة .. أصبحت النخلة كل حياته .. لم يكترث لسخرية أقاربه .. أما أبوه فكانت الكلمات المعسولة حجته لتبرير ابتعاده عنه .

مرت الأيام مرحة واللحظات سلسة .. كل نبت يتفرغ مع أحلامه .. وكل نسمة عطرة تنفس أمله فى الغد .

داعب صورته المعلقة فى جذع النخلة .. بشرته الآن أكثر سحراً من ذى قبل وهذا الشارب الكثيف لم يكن قد ظهر بعد .

كانت النخلة تخشاها كل الطيور فلا يلبث أن يستقر طائر فوقها حتى

يولى مـدبراً .كان يأمن من الـريح داخل مسكنه .. فـالنخلة الصلبـة لا تميل وبيتـه لا يعبأ بأى عـاصفة ، لم يخف الأب سـعادته بذلك التطور .. داعب ابنه قائلاً :

- يبدو أن صحتك قد تحسنت على هذه الأرض .

قاطعته الأم بطيبة الأرض الأصيلة :

- بسم الله ما شاء الله .. لا يحسد المال إلا أصحابه .

واستغرق الجميع فى الضحك على تعليق الأم الفطرى .

يبدو أن ظن الأم قد أصاب .. فقـد بدأت أحداث غريبة تتوالى ، بدأت بعض الطيـور الغـريبـة الشكل تسكن أعـلى النخلة .. بداية لم يعـر الأمـر اهتماما وإن تعـجب أن النخلة لم تعد تلفظهم كعهدها مـعهم ولكن ما بدأ يثيره هو التكاثر الكبير للطيور يوماً عن آخر حتى أن سعفها لـم يعد ظاهراً.. والأكثر غرابة أن هذه الطيور أتت على كل الثمار .

لم يعد يتبق له أى شىء ..!!

بلغت الـلعنة ذروتهـا .. حـاول أن يبـعـد تلك الطيـور .. ولـم تفلح محاولاته .. حتى طعامه تلوث بمخلفاتها .

بدأت قواه تنهار وأخذ الهزال دوره .. تحـولت حياته - مع تلك الطيور الغريبة - إلى جحيم .

حاول أن يمدد جسده داخل بيـته .. وما لبث أن قام يتلصص على شىء ما .. حدث نفـسه بأن هناك بوادر ريح قادمـة .. وسرعان ما طرح مـخاوفه أرضاً .

- ومـا لنا نحن ..!!ما زالـت النخلة قوية لا تمـيل مع الرياح .. وفجـأة شـعر بكل أرجـاء البيت تهـتز .. تـرتعد .. ضـربه الذهول بمطرقة قـوية .. حملق فى لا شىء .

رمق نخلتـه وهى تميل مع كل اتجاه للريح .. ومـعهـا تتمايـل كل أركان المنزل .. سمع طرقعات عالية :

- يا إلهى .. يتقوض المنزل بهذه السهولة .

اندفع خارج المنزل مهرولاً .. توقف ينحـت صورة للبيت الذى تتوسطه النخلة وهو يعلن التمرد وزعيمته مصرة على الانهيار .

دفعه أمل يائس أن يضع بعضًا مـن السدادات فى محاولة لرأب الصدع وما لبثت السدادات أن سقطت .

أخـذ يرنو إلى الفـسـائل الخضـراء حـول بيـتـه .. تمزق وهو يراها تميل للاصفرار :

- اللعنة .

أخذ مكانا مواجهاً لبيتـه .. جلس القرفصاء .. وضع ذقنه بين راحتيه .. أخذ يتأمل ما حدث بعقل غائب .

انتشله مـن غيبـوبتـه طيف يواجـهـه مبـاشرة .. يحجـب عنه جزءاً من المنزل .. تنبه .. شيخ يشبه عود الخـيزران .. لا يرى من ملامحه سوى عينين غائرتين .

انتفض من مكانه .. ولكن نظرة الشيخ المطمئنة أعادته إلى هدوئه .

تأمل حركة شفاه الرجل .. شعر وكأنه يسمع صوتاً من عالم آخر :

- ماذا يا بنى .. ؟

أشار إلى بيته دون أن ينبس ببنت شفـه .. التفت الشيخ نحو الإشارة .. حيث كان البـيت أشبـه بمن يرتعد قـبل احـتضـاره . مسح لحـيتـه الطويلة البيضاء.. وأومأ برأسه عدة مرات :

سأله الشاب بشغف :

- الحل ..؟

صمت الشـيخ برهة كأنهـا ألف عام ، زاغ بعـينيه الضـيقـتين .. أجاب بنفس الصوت الخافت :

- الحل .. الحل .. أن تهجرها .

وكأنه أجاره من النار بالرمضاء .. صاح :

- هيه .. مـاذا تقول .. إنها كل .. ولكن الشيخ قـد اختفى كمـا جاء .. خيل له أنه يمتطى أحد السحابات راحلاً .. وهو يشير كأنه يؤكد شيئا بعينه.

عاد لجلسته .. وعاد صدى كلمة الشيخ يردد :

- اهجرها .

شعـر بأسياخ .. حادة تـنخر أمعاءه .. تصـارعت برأسه أحداث غـريبة كـونت الدموع حـاجـزاً بينه وبين بيـته .. ضـغط على بطنه بشـدة تـأوه .. صرخ.. !!

❑

عندما تبيض الديوك

انتفض من فراشه .. صفع منبهاً بجواره ، أسكته .. تأوه .. تثاءب :

- يا فتاح يا عليم .

حمل منشفته على كتفه .. وضع رأسه تحت الصنبور .. انتابته رعشة سريعة .. بدأت الأشياء تظهر من حواليه تدريجياً .. أشعل موقده .. تابع البراد وهو يهتز بفعل بخار الماء المغلى .. دخل إلى حظيرة الدواجن .. استبدل الماء الباقي ابتسم .. لفت انتباهه شيء ما .. أخذ يجول ببصره فى الحظيرة يبحث عنه .. آه الديوك .. أين الديوك ؟ لماذا لم تقابله بصياحها الصباحى المعهود .. لماذا سكت أذانها ؟

- ما هذا . ؟!!

تحجرت حدقتاه .. تسمر مكانه .. بدا للناظر كتمثال من الرخام . قهقه بهستيرية :

- أيها الملاعين .. من أشار عليكم بهذا .. ؟

لماذا ترقدون فوق البيض .. أتخافون أن يفسد ؟.. لا اذهبوا لتأكلوا مع دجاجاتكم . دفع الديكة بيده .. طردها من فوق البيض .. تأكل ثم تؤذن .. ما أسكت الله لكم أذاناً .

ولكن .. ماذا يرى .. الدجاجات تندفع نحو الديوك .. تغرز مناقيرها فى أجسامها فيتطاير الريش الجميل :

- يا نهار أسود .

شد شعر رأسه :

- أيها الجبناء لم لا تدافعون عن أنفسكم .. ما الذى يجعلكم تفرون هكذا .

ولكن الديوك لا تعى حديثه .. عادت مسـرعة لترقد على البيض .. لقد فقدت كثيراً من ريشها .. بل هناك بعض من دماء يرصع أذيالها .

فرك عينيه بشدة .. ضرب رأسه فى الحائط :

– ماذا يحدث ..؟

عاد سريعاً .. وضع رأسه تحت الصنبور ثانية .. صفع وجهه بالماء البارد .. دلف إلى حظيرته مرة أخرى ..ألا يزال نائما ؟

ولكن الحقـيقة مـا أرى .. الديوك ترقد على البيض والدجـاجات تأكل «وتتمطع» فى شمس الشتاء الدافئـة .. اقترب من إحدى الدجاجات تحدث إليها متهكما:

– لماذا لا تؤذنين إذن ؟

فجأة أطلقت دجاجة أخرى صوتاً غريباً وكأنها تحاول بالفعل أن تؤذن، ولكنه صوت مزعج يشبه صوت كلب يحتـضر .. عاجلها بخبطة قوية عله يسكت ذلك الصوت البغيض .

بعنف أغلق باب الحظيـرة .. قفـز إلى سـريره .. تربع كتـمثـال الكاتب المشهور . أشعل سيجارة .. اختطفـه الهذيان .. أشاح بيده .. إن حالته غير طبيعية .. لن يذهب للعمل اليوم .

هبط .. أخذ يتـجول فى غرفتـه .. وقف أمام مرآته .. تأمل نفـسه وضع حـذاءه فـوق رأسـه .. أخـرج لسـانه .. انخـرط يرقص وهـو يتـخلص من ملابسه .. تواتر إلى أذنه جرس التليفون .. وضع أصبعه فوق فمه: هس .

قـفز ثانيـة إلى سـريره ، لكن القـفزة القـوية أسـقطت السرير أرضـاً .. ابتـسم. قهـقه . نزل براحـة يده على قفـاه .. جرى لحظيـرته ثانيـة .. مازال الوضع كما هو .. الديوك المنكسرة ترقد على البيض ، والدجاجات الظافرة تنكش الأرض وتواصل عواءها :

- يا أولاد العفاريت .

كأن خاطراً ما قد حضره .. اندفع إلى الداخل وما لبث أن عاد ومعه سكينة ينعكس بريقها فى ضوء الشمس المستحية .. اقترب من أحد الديوك هم أن يمسك به ولكنه تراجع .. هرش رأسه .. ليس الآن فلترقدوا إلى أن تخرج أفراخكم ثم يقضى الله أمره .

تصعد الأيام درجاتها والحال هو نفس الحال .. الدجاجات لم تعد ترقد، والديوك لم تعد تؤذن . استسلم للأمر الواقع .. وذات صباح طال انتظاره .. وجد بعضاً من قشر البيض .. هه لقد تم الفقس ، فليتخلص من ذلك الدجاج .

اقترب من الفراخ الوليدة وما أن رآها حتى صرخ .. انهمر عرقه .. قلب الأفراخ الصغيرة :

- لا حول ولا قوة إلا بالله .

ما هذا .. غربان أم بوم .. أو أنها قرود ..؟!

راح ينقر بأظافره على أسنانه .. تأمل كومة القش الحاضنة لتلك الفراخ.. أشعل سيجارة بعصبية اقترب من كومة القش .. نفث دخاناً كثيفاً.. مازال عود الثقاب مشتعلاً .

❑

البعث

أكور نفسى .. أدخل إلى رحمها .. أغمض عينى وأتركها ترى لى ..لا ألوى على شيء .. لا أعرف إلى أين .. يتوهج ضياء عينيها .. تتسرب إلى أحداقى من بين الأهداب الحديدية جحافل الضوء .. لا أريد أن أفيق .

تنازلت عن حقى فى عقلى المتيبس .. فى سرداب تـتضاءل فيه الهامات وتبقين عملاقاً أقصى ما يتمناه الكـبار .. الصغار .. المسح على إصبع قدميه الكبـرى .. أضرب رأسى فى السـاق الرخاميـة .. تتقطر من أنـفى الأحلام الموءودة .. تتخثر تحت القدم الكبرى ذكرى .

أركض .. لست أسيراً .. تكبل ساقى قيود المجذوب ..أمزق سروالى .. ألف أجزاءه حول يافـوخى المهترئ .. أنسج من نور عينيها خـيوطاً .. أرقد وأسلم نفسى للأسر ..

تتضخم أشـداقى .. تتدلى .. يسيل لعابى على صـدرى بحراً للوحدة ، الوحشة ، اليتم .. هاتى صدرك ألثـمه كى لا يضحك منى البلهاء .. ألمحهم يشيـرون نحوى .. يتأرجـحون فوق خـيوط عنكبوتيـة .. أزحف نحوك .. ضـمينى بقـدمـيك .. دعينـى أتسلق فوق فـخـذيك .. أتكور .. أندفع إلى رحمك لكن لا تلدينى من جديد .

❑

«جريدة الجمهورية»
١٩٩٦/٣/٢١



ابتسامة

عرقه الممتزج بغبار الطريق جعل وجهه كخريطة مهترئة . زفرة نار أطلقها من صدره .. درجات السلم عالية والأنفاس المتقطعة تعانده فى الصعود ..

أصوات العملاء مازالت تطن فى أذنيه .. وأمر رئيسه يثير حنقه.. والأدهى تعطل الأتوبيس فى ملقف الشمس المتوهجة .. ورائحة العرق..!!

تنبه إلى لسانه المخنوق بين فكيه :

- آآآه ..

توقف أمام باب شقته .. مد يده يخرج مفتاحه ، ليس هناك ..

- يا ألف نهار ..

رزع الباب براحة يده ، لم يعبأ بزجاج الشراعة وهو يهم بالتحطم .

قابلته .. ابتسامتها عذبة .. ملامحها هادئة . نزعت عنه بذلته .. وحذاءه.. جففت عرقه .. عادت أنفاسه تتواصل .

ابتسمت .. تناول كفها بين راحتيه .. طبع فوقه قبلة حانية .. بادلها ابتسامة واسعة .

❑

القنـــاع

لأول وهلة خفق لها قلبه .. انطلق صاروخ يحمل سفينة للحب . بادلته نظرة مبتسمة .. ود لوطار من شباك السيارة يخطف لها نجمة يزين بها جيدها الرخامى .

عيناها العسليتان جعلت لحظاته بطعم غذاء ملكات العسل .. شعرها المسترسل شلال من الأحلام .. ود لو التقت كلماته بثغرها الوردى .. خلا الكرسى بجوارها .. لملم شجاعته .. احتضن لحظاته القادمة على طرف الكرسى..جلس بجوارها..حياها بإيماءة والعرق يتفصد من جبينه .. سألها:

هزت رأسها مبتسمة .

وعاد يسألها

وعادت تبتسم .. فتبتسم له الدنيا .

شعر أن الجميع من حوله لا أحد .

وعاد يلح فى سؤاله ..

وتعود لتبتسم

وجنونه أصبح وشيكاً ..

أتى المحصل .. أبرزت له بطاقة فى صدرها :

«دار الصم والبكم ».

مسح عينيه وسط رأسه .. قفز فى أول توقف للسيارة .

❑

جريدة السياسى
١٩٩٢/٨/٢٣


لقـــاء

تتابع انـصراف المعزين .. كلمـات الرثاء تنحدر فـوق الألسنة والأكف تشد على يده مواسية .

الدموع تملأ عيون أبـنائه .. وغياهب الظلام اقتحمت جـيوشها المكان . ركن الأبناء إلى زوجـاتهم .. والـبنات إلى أزواجـهن .. الدمـوع هى لغـة الجميع .

وحـيداً فى ركن الغـرفـة .. خلع صـورتها ليلة الـعرس .. أربعـون من الأعوام مرت فى هذه الحـجرة .. فوق هذا السرير كـان ميلاد كل الأبناء .. وفوق هذه الأريكة المواجهة للشباك .. كم عاشا ليالى مقمرة .. وابتسامات تداعب الشفـاه .. هذا المشط فى كل يوم ينزلق فوق خـصلاتها الصـفراء .. هذه المرآة كم هنأتها على جمالها المتجدد .. هذا .. وهذا .. وهذا ..

فتح دولاب ملابسـها .. مازال فسـتان الزفاف قابعاً بجـوار بذلته . منذ الليلة البعيـدة وهو لم يرتدها .. ترى ألا زالت على مقاسه ؟.. أخـرجها .. شرع فى لبسـها .. عدل ياقة قمـيصه ثم ربط «كرافتـته» .. اتجه إلى المرآة .. تماماً كما كان من أربعين عاماً ..

جلس فوق الأريكة .. سأله القمـر عن شىء ما .. تلفت حوله .. مسح دموعه خلف نظارته ..

ابتسم ...

وفى الصباح .. كان أبناؤه يكسرون باب الغـرفة .. عدلوا الجسد الملقى بجوار الأريكة .. اقترب أكبرهم سبل الجفون المبتلة .

❑


القمىء

هالنى ما رأيت من حال الرجل المقرفص بجوار كومة الزبالة - أشفقت عليه من مجموعة الأطفال التى ترجمه بالحجارة .. اندفعت نحوهم صرخت فيهم حتى اندحروا عنه .. اقتربت منه .. رائحته كما لو كانت قادمة من مصرف عتيق للفضلات .. شعره الأشعث فوق غابة من الذباب وأسنانه قطعة من الحديد الصدئ .. لحيته الطويلة .. مجدولة بحبيبات الطين .. ضغط على فتحتى منخارى عندما دنوت منه - انخلع قلبى لهذا الحال . حاولت أن أخفض صوتى وأنا أسأله :

- جائع ..!!

رفع رأسه .. حدجنى بنظرة اقشعر لها بدنى .. أطلق صوتاً مكتوماً .. تناولت كفه الضخمة بأظافرها المدببة والتى استحال لونها إلى لون الطين .. نهض طويل القامة عريض الصدر ، لم يهتم بأن يدفع عنه الخنفساء المتعلقة بجلبابه الذى يختفى نوع قماشه الثمين خلف كم القذارة الهائل التى يئن بها .. اتجهنا به إلى المطعم المواجه لمكاننا .. طلب منى صاحبه أن أبقى هذا الحيوان خارجاً . لم يعبأ بنظرة اللوم من عينى وإن عقب بأنى رجل طيب .. ناولت طبق الطعام للواقف بانتظارى .. خطفه بعنف .. تركت أظفاره المسنونة آثارها بيدى .. أدبر مسرعاً نحو كومة من الزبالة .. تابع صاحب المطعم شفتى الممطوطة بهزة رأس فهمت منها أنه ناقم على تصرفى .. تبعت الفأر بغنيمته .. ألفيته يكاد ينتهى من طعامه ، ومنخاره يطلق شخيراً عالياً ، وبقايا الطعام تشكل حلقات دائرية حول لحيته .. مددت يدى أستعيد الطبق .. فجأة انتفض الرجل من مكانه .. دفعنى بقوة .. ترنحت متراجعاً للخلف .. شلح جلبابه - الساتر الوحيد لعورته .. رفع الطبق وتبول فيه .. أطلق قهقهة عالية ، قذف الطبق المليء بالبول فى وجهى .. اتجه إلى كومة من الزبالة .

❑

قصص قصيرة جداً

استحالة

عندما تيقن من استحالة نظافة ثوبه أخذ «يكبش» من تحت قدميه ويرمى جميع المارة.

الكلب

عندما أنشب الكلب الأجرب أسنانه فى طرف جلباب الرجل النحيل .. أسند الرجل نظارته السميكة بيد .. قطع طرف جلبابه باليد الأخرى .. رحل .

بداية

لم تكن تعرف أنها على هذا القدر من الجمال .. الثقافة .. الأدب .. إلا عندما فازت بجائزة الفتاة المثالية .. لمحت الفرحة فى عيون كل من حولها.. نظرت إلى نفسها فى المرآة . غمزت بعينها ..لكن ما أقلقها - بحق - أن جميع من حولها بدءوا ينصرفون واحداً .. واحداً .

انقضاض

حملوه فوق أكتافهم .. نادوا فوق كل المنابر - اتفقوا فيما بينهم على أن يكون كبش الفداء - وعندما أثبت وجوده وصار مرغوباً من الجميع .. حملوا خناجرهم خلف ظهورهم ، انقضوا عليه .

«السياسى المصرى»
١٧/ ٩/ ١٩٩٥

الرائحة

رغم أنه كثير الاستحمام ورغم كم العطور الهائل الذى يستورد خصيصاً - من أجله - إلا أن رائحته مازالت لا تطاق ..!!

نصيحة

بعد أن صعد لمنصبه المرموق نصحته- بحق صداقتنا - أن يتخلص من بعض المحيطين به - حرصاً على مستقبله - وبعدها حاولت كثيراً الاتصال به ، لكنى دائماً لم أجده .!!

استسلام

أسلم رأسه بين راحتيه .. سرح .. زوجته الفاتنة .. أصلها الرفيع .. طفلاه ذوا التعليم .. عمله كضابط كبير فى الشرطة .. أفاق على صوت إحدى السيارات قادمة .. فتح عينيه .. نهض يحمل «جردله» ومنشفته .. أسرع نحو السيارة على قدمه المصابة بشلل الأطفال ..!!

تنازل

لأنه يحب زوجته تنازل - لأول مرة - عن سبها له أمام الجميع ..

ولأنه يكره المشكلات المتكررة فقد فض - سريعاً - المناقشة فى موضوع خروجها بفستانها الفاضح .

و.. لأنه يأمل فى رضائها فلم يستطع أن يثنيها عن تأخيرها الدائم خارج المنزل .

ولأنه ..

ولأنه ..

عندما وجد كثيراً من علامات الاستفهام محفورة فوق سريره .. لم ينبس ببنت شفه ..!!

«الأهرام المسائى»
١٩٩٥/٥/٩

تطلع

عيناه فى وسط رأسه .. لانهاية للارتفاع الشاهق .. لم يهتم بتحذيرات المارة .. «كلاكسات السيارات» .. البنايات تلتقى بالسحاب .. تمنى لو صعد لإحدى هذه القـمم .. سور الكورنيش منخفض .. لم يتنبـه أحد لاصطدام جسده بصفحة النهر .

آخر مرة

مط الطبيب شفـتيه .. تطلعت العيون للون وجـهه المتغير .. مـرة أخيرة ثنى ذراعه الجـالس أمامه .. زفـر .. هز رأسه .. غـمغم .. أكثـر من مرة تـم تجبـير الذراع .. الآن لاأمل إلا .. قـبل أن يكمل انفـجرت الصـرخات تملأ المكان .. تجمعوا حول المغشى عليه فوق الكرسى .

توبة

لحق بى على باب المسـجد .. لاحظ دهشتى .. قـال إنه تغيـر تماماً .. لم يعد يترك فرضاً .. أكد أنه أصبح يعـتاد المسجد دائما .. أخذ يحكى لى عن صـديق قديم وكـيف أن زوجتـه تمشى على «حل شـعرها» .. ومـا لبث أن انقلب على صـديق آخـر وقـبل أن يـكمل .. اسـتـأذنت منه .. ولجت إلى شارع جانبى .. ضغطت على شفتى الممطوطة .

صوت

لأن صوته أعلى الأصـوات .. التفوا حولـه .. خطب فيهم .. شجـعهم حماسة الزائد .. وعندما وقفوا أمـام المحقق .. جالت عيونهم تبحث عنه .. لكنهم لم يجدوه .

تعظيم سلام

أمسك يد طفله .. رفع طرف جلبابه متفادياً الماء المندلق عند قدميه .. حدجه الجالس يداعب مبسم «البورى» بنظرة تحذره من أن يفتح فمه . فى الصباح ارتدى زيه الرسمي .. طارت النجوم الثلاثة ،لتصفع الجالس جلسة الأمس.. انتفض.. رفع ورقة من منتصف الطريق.. رفع يده تعظيم سلام .

الرغيف

ظل يرقب رغيف الخبز الملقى بجوار الطوار .. وما أن خفت الأقدام السائرة وشعر أن الوقت أصبح مهيئاً لاقتناصه مد يده يلتقطه .. ولكن آلاف الأيدى انقضت على يده .

لماذا

رفع رأسه للسماء .. عاود السؤال :

- لماذا ..؟

من بين الأرجل تدحرج جسد لم يستطع أن يميز نوعه .. قفص من العظم يحمل فوقه رأس لايد ولا رجل .. تدحرج القفص وتكور بجواره.
تأمله مرة أخرى .. سأل :

لماذا ؟

أجابته الرأس بنصف لسان :

- عم تسأل ؟

بنفور واضح أجابه :

- مبسوط من حالك .. ؟

ابتسمت الرأس وانحنت تقبل يداً ضامرة .. تمتمت :

«الحمد لله» .

تصادم

بسرعة مجنونة أصبح جسـد العجوز متكوراً إلى جوار الطوار .. دماؤه اخـتطلت بالتراب .. هبطـت من سيـارتها الفـارهة تسـبقـها رائحـة العطر الفاخر، اقـتربت من الجالس متـابعاً .. ألقت فى حجره لفـافة من النقود .. رمقها بنظرة متسائلة .. أجـابته ببساطة .. أنت الشاهد الوحيد هو اللى رمى نفـسه تحت السـيارة ، وقف بسـرعة سـمع صوت سـرواله المرتوق يتمـزق سقطت النقود تحت قدميه .

خـرج من قـسم الشـرطة وأمعـاؤه تخـرج من بطنه تضـربه على قـفـاه تستصرخه ، رفع ياقة قميصه ومضى .

الأهرام المسائى
١٤/ ٣/ ١٩٩٥م

القطة

بعين نصـفـهـا مغـمض رأى دولاب الملابـس بعيـداً .. بالعـافـيـة خلع مـلابسه.. كـورها وألقـاها بجـوار سريره . رن جـرس المنبـه يعلن عن يوم جـديد.. انتـفض .. غـاصت قـدمـه فى الملابس المتكومـة .. ضـغط رأسـه براحتيه.. وجد قطته وقد قضت حاجتها عليها .

محاولة

دلق كل الماء المختزن لوقت الحاجة .. فـتح «الصنبور» .. امتنع .. حاول أن يوقف بقايا الماء الجارى فى البالوعة ..!

إنذار

تذكر أنه كثير التأخير عن عمله .. رئيسه فاض به الكيل .. فليكن اليوم هو آخر مرة يتغيب فيها .. رن جرس الباب .. بتثاقل قام . ناوله الواقف خطاباً .. فرك عينيه وهو يقرأ : إنذار من العمل بالاستغناء عنه .. وضع ظهر يده فوق فمه يدارى تثاؤبه .. ألقى بجسده فوق السرير .

شرود

رفع بندقيته فوق كتفه .. ملأ رئتيه بهواء الجبل الجاف .. داعب بعض النجوم الساهرة .. ساعات معدودة ويصبح حراً . منذ شهر تقريباً وهو لم ير الحياة المدنية . يجب أن يقضى خدمته كأسد يحمى عرينه .. لن يسمح لنملة بالمرور .. إلا إذا عرفت كلمة السر .. أى غفوة قد تفقده أجازته .. تنحنح :

- ما أحلى طعام أمى .. آه من أكلة سمك .. ونسمة هواء طرية .

مر الضابط بجواره .. عاد لينهره :

- أيها الجندى النائم .. انتظر مكتب .

- هه .

أفاق من شروده .

جريدة السياسى
٧/ ١٩٩٢

تراجع

وضع يده فى جيب سرواله .. تقبل إغراءات الباعة بابتسامة مقتضبة اقترب من كومة البطيخ .. أخذ يقلبها .. غمز للبائع بعينيه .. مط شفتيه ..

تأمل خيوط الشمس المشرقة .. أخفى عينيه بنظارة شمسية فخمة .

دنا من بائع آخر .. أخذ يخبط فوق إحدى البطيخات . ابتسم سأل عن ثمنها .. ذهبت الابتسامة .. مط شفتيه .. تأمل الشمس فى كبد السماء .

رفع «جاكتته» على كتفه .. فرك جبهته .. نفخ فى راحته .. مال على كومة صغيرة من البطيخ .. هم أن يقلب فيها . أشار له البائع. تراجع ..

ناوله إحدى البطيخات التى التقطها من وسط الكومة .. نقده كل ما معه.. تعثر. بحث عن دم البطيخة .. تقيأ .تأمل أشعة الشمس الصفراء الراحلة .

جريدة السياسى
١٩٩٢/٩/٢١

انسحاب

تشبث بروحه الواهية قبل الرحيل .. ومن خلف عينين يتسرب ضياؤهما تدريجياً تابع خيالات ابنته وهى تلملم كل ما بالغرفة .. مال الابن على وجه أبيه .. مد الأب يده المرتعدة علها تستمد بعضاً من قوتها .. جال الابن بعينين غاضبتين يلتهم أركان الغرفة الخالية لتوها .. انقلب إلى أخته محزوناً.. عاتبها بشدة .. مازالت الروح تلح فى الانسحاب .. ومازال يرجوها أن تبقى .. اقترب منه ابنه .. وضع كفه فوق جبينه .. غمز بعينيه اللتين انجذبتا نحو بريق الخاتم الضخم فى يد أبيه .. خلعه .. دسه فى جيبه.. التفت يفتش فيما جمعته الأخت ..

انحشرت التنهيدة فى صدره .. أغمض عينيه على دموعه .. أطلق سراح روحه .

ألم خاص جداً

حسده الجميع على حذائه الجديد .. انبهروا بسعره المرتفع .. هنَّئوه على ذوقه الراقى . الحذاء الضيق يطبق على أصابع قدميه .. كتم ألماً غير محتمل.. انشغل بكيفية تسديد قسط الحذاء الشهرى .

اللعبة

لم أعرف من أشار بهذه اللعبة .. وضع أصبعه فى فمى ، ووضعت أصبعى فى فمه ، ويبدأ كل منا يضغط بأسنانه على أصبع الآخر .. قانون اللعبة من يصرخ أولاً عليه أن ينفذ ما يأمر به قرينه .. لم أعد أحتمل .. أصرخ وليكن ما يكون .. سأنفذ كل ما يريد .. وقبل أن تنطلق الصرخة من بين أسنانى كانت صرخاته تملأ المكان .. كتمت ألمى .. وضعت ساقاً فوق أخرى .. أمليت شروطى .. لم أتنازل عن أى شرط .

صفحة جديدة

عندما أخطأت فى حل المسألة الحسابية ..طلبت إليه للمرة الألف .. أن يقلب الصفحة ويبدأ الحل فى صفحة جديدة .. المحير أنه لم يعد هناك أية صفحة ..!!

موعد

بهدوء غريب أجابته :

- غداً فى نفس موعدنا .

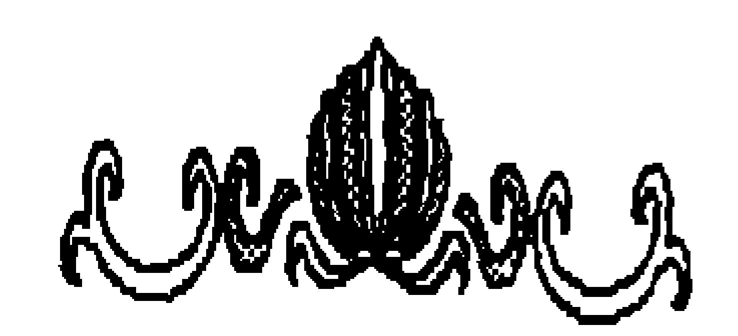
صفعت الباب خلفها .. رحلت .. وفى الصباح أطلق صفيره أسفل نافذتها .. انتبه إلى جمع من الناس عند مدخل المنزل :

- ماذا .. ؟

عربة إسعاف ابتلعت جسمانها .. تأمل الموقف جيداً .. أمها تلطم خدها:

- ابنتى الوحيدة .

أخذ نفساً عميقاً .. صعد فوق سور الكورنيش .. تجمع المارة على صوت ارتطام جسم بالماء .



الفهرس

من قائمة الإصدارات الأدبية

رواية .. قصة

ليلة العشق والدم	إبراهيم عبد المجيد
حمدان طليقاً	أحمد عمر شاهين
تباريح الوقائع والجنون	إدوار الخراط
رقرقة الأحلام الملحية	إدوار الخراط
مخلوقات الأشواق الطائرة	إدوار الخراط
لا أحد يحبك	أماني فهمي
دنا فتدلى (من دفاتر التدوين ٢)	جمال الغيطاني
مطربة الغروب	جمال الغيطاني
دموع إيزيس	حسني لبيب
أحزان رجل لا يعرف البكاء	خالد غازي
الحب والتتار	خالد عمر بن ققه
أيام الفزع في الجزائر	خالد عمر بن ققه
يومية هروب	خيرى عبد الجواد
مسالك الأحبة	خيري عبد الجواد
العاشق والمعشوق	خيري عبد الجواد
حرب اطاليا	خيري عبد الجواد
حرب بلاد نمنم	خيري عبد الجواد
حكايات الديب رماح	خيري عبد الجواد
الطريق والعاصفة	رأفت سليم
في لهيب الشمس	رأفت سليم
اركبوا دراجاتكم	رجب سعد السيد
أنا كنده	كيروجا ترجمة : رزق أحمد
سيرة عزبة الجسر	سعد الدين حسن
شجرة الخلد	سعد القرش
شهقة	سعيد بكر
أيام هند	سيد الوكيل
الممنوع من السفر	شوقي عبد الحميد
الدميرة	د. عبد الرحيم صديق
جسد في ظل	عبد النبي فرج
الفوز للزمالك والنصر للأهلي	عبد اللطيف زيدان
ليس هناك ما يبهج	عبده خال
لا أحـد	عبده خال
صعيدي صنح	د. عزة عزت
الشاعر والحرامي	عزت الحريري
في انتظار ما لا يتوقع	عصام الزهيري
إيتارو	د علي فهمي خشيم
تحولات الجحش الذهبي	لوكيوس ابوليوس ترجمة د علي فهمي خشيم
سراديب	عفاف السيد
الزجاج المكسور	د غبريال وهبه
ينابيع الحزن والمسرة	فتحي سلامة
يوميات عابر سبيل	فيصل سليم التلاوي
وتر مشدود	قاسم مسعد عليوة
خبرات أنثوية	قاسم مسعد عليوة
حب وظلال	كوثر عبد الدايم
ترانزيت	ليلى الشربيني
مشوار	ليلى الشربيني
الرجل	ليلى الشربيني
رجال عرفتهم	ليلى الشربيني
الحلم	ليلى الشربيني
النغم	ليلى الشربيني
الخرابة ٢٠٠٠	محمد الشرقاوي
كوميديا الإنسجام	محمد بركة
أشياء لا تموت	محمد صفوت
الحاج	محمد عبد السلام العمري
بعد صلاة الجمعة	محمد عبد السلام العمري
الخروج إلى النبع	محمد قطب
رشفات من قهوتي الساخنة	محمد محي الدين
الحبيب المجنون	د محمود دهموش
فندق بدون نجوم	د محمود دهموش
الهروب مع الوطن	ممدوح القديري
نسيج الأسماء	منتصر القفاش
ثلاث حقائب للسفر	منى برنس
حافة الفردوس	سيل عبد الحميد
ديسمبر الدافئ	هدى جاد
خلف النهاية بقليل	وحيد الطويلة
قرد حمام	يوسف فاخوري

بالإضافة إلى : كتب متنوعة : سياسية - قومية - دينية - معارف عامة - تراث - أطفال
خدمات إعلامية وثقافية (اشتراكات) ملخصات الكتب - وثائق - النشرة الدولية - دراسات عربية - معلومات - ملفات صحفية موثقة



كأن خاطراً ما قد حضره .. اندفع إلى الداخل وما لبث أن عاد ومعه سكينة ينعكس بريقها فى ضوء الشمس المستحية .. اقترب من أحد الديوك هم أن يمسك به ولكنه تراجع .. هرش رأسه .. ليس الآن فلترقدوا إلى أن تخرج أفراخكم ثم يقضى الله أمره.

تصعد الأيام درجاتها والحال هو نفس الحال .. الدجاجات لم تعد ترقد، والديوك لم تعد تؤذن . استسلم للأمر الواقع .. وذات صباح طال انتظاره .. وجد بعضاً من قشر البيض .. هه لقد تم الفقس ، فليتخلص من ذلك الدجاج .

اقترب من الفراخ الوليدة وما أن رآها حتى صرخ.. انهمر عرقه .. قلب الأفراخ الصغيرة :

- لا حول ولا قوة إلا بالله .

ما هذا .. غربان أم بوم .. أو أنها قرود ..؟!

